الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى– جيجل –

الرقم التسلسلي: .....

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

علـم البيــان

بين الجرجاني في الأسرار والسكاكي في المفتاح

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبات:

- إلهام بورويس
- إيمان بوعيناه

إشراف الأستاذ:

جمال بوسنون

أعضاء اللجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة
1– فاتح بوالزيت	أستاذ مساعد – أ	رئيسا
2– جمال بوسنون	أستاذ مساعد – أ	مشرفا ومقررا
3– نسيمة حارش	أستاذ مساعد – أ	مناقشا

السنة الجامعية 1442/1443هـ / 2021–2022م

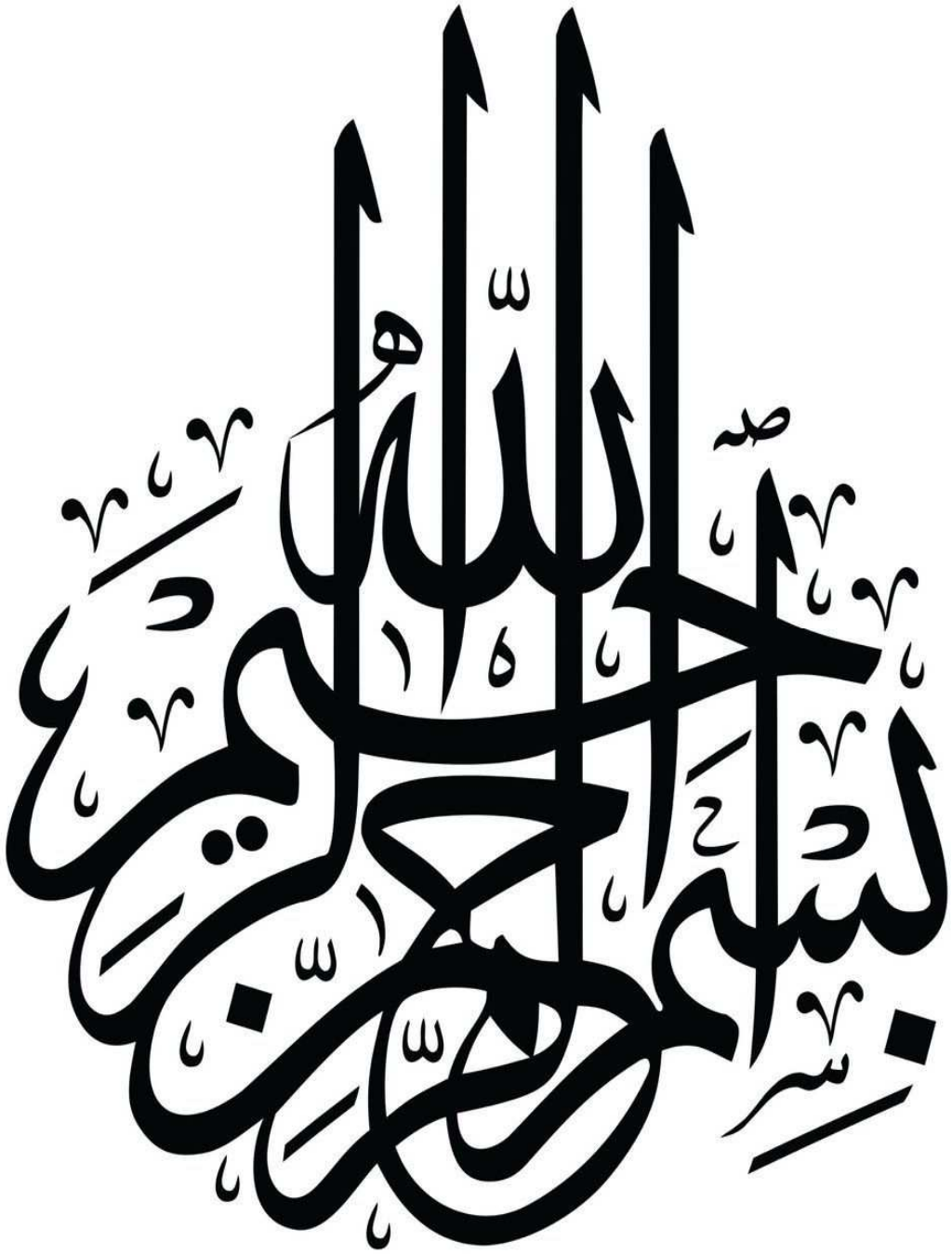
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نستهل شكرنا بحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه وإعانته لنا في إنجار هذا العمل المتواضع.

ونرى وقد أنهينا بحثنا هذا أن نتقدم بفائق التقدير وجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذنا المشرف "جمال بوسنون" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث والذي كان لتوجيهاته السديدة وإرشاداته النيرة ونصائحه القيمة الأثر الواضح في ظهور هذا البحث بشكله الذي هو عليه.

ويسعد قلوبنا إرسال أطيب العبارات لجميع من سار قدمه لمساعدتنا، ونطق فوه لتوجيهنا.

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

إليكم أحبتنا شكرنا الجزيل

مقــدمـة

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

اللغةالعربية هي تلك الملكة التي خص بها العرب دون سائر الأقوام، فهي بحر واسع والغوص في أعماقها ممتع ومثير، وبها تربع العرب على عرش الفصاحة والبيان،وقد ميز المولى عز وجل العرب عن غيرهم بأن أنزل عليهم، وبلغتهم القرآن الكريم الذي يبقى الرسالةالخالدةإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو المنهل الذي يفيض بشتى العلوم خاصة اللغوية منها؛ فقد قال عز من قائل: {الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) }[الرحمان 1-4]كما تعهد بحفظه في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر 09] وهذا ما ساهم في حفظ اللغةالعربية وتطورها، فقد أنزله الله على العرب متحديا إياهم في بلاغتهم وفصاحتهم، فهو يعد مصدرا ثريا بأساليب التعبير اللغويةالمتنوعة ما بين الفصاحةوالبيان.

كان العرب يستخدمون الأساليب البيانية سليقة، وبهذه المزيه بانت لغة العرب عن سائر اللغات، ولقد تضمنها القرآن الكريم، ثم احتوتها الكتب العربية وذلك بفضل جهودالعلماء الذين انكبوا على دراسة كل ما هو متعلق بالقرآن الكريم، لدىأردناأن يكون موضوع بحثنا من دائرة اللغة العربية"علم البيان"، من خلال دراسة بين أشهر علماء هذا العلم وهما "عبد القاهر الجرجاني" و"السكاكي"، فوسمنا عنوان مذكرتنا بـ: "علم البيان بين الجرجاني في الأسرار والسكاكي في المفتاح".

ويعود سبب اختيارنا هذا الموضوع إلى الرغبة في دراسةأبرز علوم اللغةالعربية وهو علم البلاغة، وتحديدا البيان، محاولة منا لمعالجة هذا الموضوع بمنهجيةجديدة لم نقف على مثلها، وذلك بتسليط الضوء على مباحث البيان من وجهة نظر كل من الجرجاني والسكاكي.

أما بالنسبة للدراسات السابقة في هذا الموضوع، فإنه – على حد اطلاعنا – لم نجد دراسة سابقة جمعت بين الجرجاني والسكاكي بهذه الصياغةوالمنهجية، وهذا هو موضع الجدة في الموضوع

وكان هدفنا من القيام بهذا البحث هو دراسة أحد أهم علوم البلاغة–علم البيان– والكشف عن أسراره واهميته، وإبراز الدور الكبير الذي قام به كل من عبد القاهر والسكاكي في وضع قواعد وتحديد معالم هذا العلم، إذ أردنا أن نكشف النقاب عن منهج كل منهما في دراسته لهذا العلم مع إبراز مواطن الاختلاف والتداخل بينهما.

أما الإشكالية التي انطلقنا منها في دراستنا فيمكن صياغتها: ما تحديد الجرجاني والسكاكي لمباحث البيان؟ ثم ما ضوابط ومعايير التقسيم والاصطلاح والتمثيل عند كل منهما؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات سطرنا خطة بحث مكونة من مدخل وفصلين، حيث تناولنا في المدخل لمحة عن البلاغة وعلم البيان ونشأتهما، ووقفنا على تعريفهما وأهم أعلام هذا العلم وأهميته، ثم انتقلنا إلى الفصل الأول الذي كان عنوانه: "علم البيان – الحدود والأقسام" وهو بدوره ينقسم إلى مبحثين: الأول "في الحدود" ويندرج تحته أصول علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية، وكذلك فعلنا في مبحث "في الاقسام"، بعدها انتقلنا إلى الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان "علم البيان –في التمثيل والمصطلحات" وهو أيضا ينقسم إلى مبحثين: الأول: "في التمثيل" وما أدرجناه تحته من الأصول، والثاني "في المصطلحات" وهو على طريقة سابقة،ثم أنهينا بحثنا بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلنا اليها.

وقد ارتأينا أن يكون منهج دراستنا في هذا البحث هو المنهج الوصفي المقارن والذي من خلاله قمنا بوصف وعقد مقارنات واستنتاجات بين الظواهر البلاغية التي تطرقنا لها أثناء بحثنا.

وقد ارتكز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، نذكر منها ما خدم موضوعنا بقوة وهي: "أسرار البلاغة"لعبد القاهر الجرجاني، "مفتاح العلوم "للسكاكي، و"البلاغة تطور وتاريخ "لشوقي ضيف، و"البيان العربي" لعبد العزيز عتيق.

وكما واجهتنا في بحثنا هذا العديد من الصعوبات نذكر منها:

- تشعب جوانب المادةالمعرفية لهذه الدراسة، ما حال دون الإحاطة بكامل نواحيها.
- صعوبةالتعامل مع علمين بمستوى الجرجاني والسكاكي وخاصة الجرجاني الذي كان يميل أحيانا إلى الاستطراد في حديثه، إذ لا يتمكن من فهم أسلوبهما إلا المغترف من بحر لغتهما وثقافتهما والمتمرس على التحليل لهما.
- تداخل مباحث علم البيان فيما بينها.

وفي الأخير يمكن القول إن الخوض في هذا البحث كان يزداد تشويقا كلما قطعنا فيه مرحلة جديدة،وهو ما نأمل أن يتواصل فيه البحث للوقوف على ما لم نقف عليه.

وأخيرا؛ فإننا نحدد شكرنا وتقديرنا إلى أستاذنا الفاضل "جمال بوسنون" الذي تولى الإشراف على هذا البحث وتوجيهيه، فقد أفادنا بتوجيهاته ونصائحه القيمة وملاحظاته، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعله ذخرا لأهل العلم والمعرفة.

وبعد فإننا نسأل الله أن نكون قد وفقنا في هذا العمل بما بذلنا فيه من جهد.

المدخـل

– في البلاغة وعلم البيان

ترتبط البلاغة العربية بعلومها الثلاثة: علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع، حيث يظن البعض أن هذه العلوم نشأتمتفردة لكن الواقع مخالف لذلك، فالبلاغةالعربية مرت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما هي عليه، فكانت مباحثها متداخلة منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين من علماء العربية، وكانوا يطلقون عليها البيان.

نشأت الملاحظات البيانية عند العرب منذ العصر الجاهلي فقد اشتهرت العرب بالفصاحةوالبلاغة والبيان فكانوا إذا نبغ منهم شاعر أو خطيب احتفوا به، ففي عكاظ كانت قبةالنابغة الذبياني التي كان يجتمع فيها الشعراء من حوله، حيث كان يفاضل بين الشعراء وهذا دليل على معرفة العرب آنذاك لجيد الكلام من رديئه وذلك وفق أحكام نقدية مبينة على السليقة،فالبلاغة إذ ذاك كانت أمرا فطروا عليه واهتدوا إليه بسليقتهم.[1]

عند ظهور الإسلام دُهش العرب ببلاغةالقرآن وأساليبه فكانوا عند سماعهم لآيات القرآن من الرسول ما يلبثون حتى يسلموا، لكن هناك من حاول معارضةالقرآن في إعجازه وبلاغته، وقد كان أكبر دليل على ذلك معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى معارضةالقرآن في بلاغته، ومن بين المتأثرين ببلاغه القرآن وإعجازه نجد أبا عبيده معمر بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن" يبحث في تأويل بعض آيات القرآن وهو أول من قال بلفظ المجاز لكن ليس من جانبه البلاغي بل يعني به بيان المعنى، كما وضع في كتابه إشارات للأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية.[2]

أما في العصر العباسي فقد اتسعت الملاحظات البلاغية نتيجة تطور الكتابة في النثر والشعر، ورقي الحياة الاجتماعية والعقلية فيه، وهذا أدى إلى محاولةأولية لتدوين هذه الملاحظات وتسجيلها، وقد كانت كتابات الجاحظ تمثل هذا العصر أصدق تمثيل، وذلك من خلال كتابه "البيان والتبيين" فقد أطال الحديث فيه عن صحيفة بشر بن المعتمر في"باب ذكر ناسمن البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء ممن لا يكاد يسكت عن قلة الخطأ والزلل" التي تناول فيها ما قال بشر عن ملاءمة الكلام للسامع والبعد عن الأسلوب المعقد الخالي من تنافر الألفاظ، حيث يجب أن يكون بسيطا لا غرابة ولا ابتذال فيه، كما تحدث أيضا عن ضرورة استعمال الجزالة والعذوبة أثناء الكلام، كما تعرض للوحدة العضوية في القصيدة وأطلق عليه تسمية القرآن.[3] "وهي ملاحظات دقيقة في البلاغة، تلقفها من جاء بعده من العلماء، واستعانوا بها على بلورة بعض أصول البلاغة وقواعدها".[4]

(1)– ينظر: مازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، د ط، ص 23، 31.

(2)– ينظر: المرجع نفسه، ص32، 34، 39.

(3)– ينظر: أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1969، ص 63، 72.

(4)- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1405هـ – 1985م، ص10.

إذن فالجاحظ ألمّ بكثير من الملاحظات البيانية، وبعض ملاحظات الأجانب، وبخاصة المعتزلة، فقد كان موسوعي الثقافة كثير المحفوظ، كما كانت له معرفه بجيد الكلام وبليغه، فالثقافات الأجنبية التي قام بدراستها والتعمق في فلسفتها ومنطقها قد عادت عليه بفائدتين لهما أثرهما في شؤون البلاغة: فائدةعقليةمرجعها الفلسفة الإغريقية التي نظمت عقله تنظيما دقيقا أعانه على استنباط القضايا البلاغية، وأخرى تعود إلى رغبته في معرفة القواعد البلاغية والبيانية التي وصلت من الثقافات الأخرى،فاستطاع أن يسهم في ميدان البلاغة العربية بما لم يسبقه إليه أحد[1] وهذا لا يعني عدم أصالة البلاغة العربية.

أنجب لنا القرن الخامس الهجري إمام البلغاء والبيانيين عبد القاهر الجرجاني الذي وضع أسس ومفاهيم وقواعد علم البيان والبلاغة في كتابيه الشهيرين "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، "ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، أما النظرية الأولى فخصّ بعرضها وتفصيلها كتابه"دلائل الإعجاز"، وأما النظرية الثانية فخصّ بها ومباحثها كتابه "أسرار البلاغة"[2] هذا الأخير تناول فيه مباحث علم البيان: التشبيه والاستعارة والمجاز كما ضمّن فيه بعض مواضيع علم البديع كالسجع.

الجرجاني وضع الملامح الأخيرة للبلاغة العربية التي اعتمدها من جاء بعده كأسس واضحة المعالم أقاموا عليها أبحاثهم كالسكاكي في كتابه "مفتاح العلوم"، الذي تناول في القسم الثالث منه مباحث علم البيان، حيث اعتمد الدقة والتفصيل في الشرح وتقديم المعلومات، إذ استفاد من كتابي عبد القاهر "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" و"الكشاف" للزمخشري، بالإضافة إلى كتب أخرى التي مهدت له قواعد البلاغة والبيان، لكنها كانت مجموعة تحت موضوع واحد "فاخترع السكاكي ترتيبا جديدا بين هذه المباحث.فجمع منها ما كان متعلقا بمطابقة الكلام بمقتضى الحال وسماه علم المعاني. وما كان متعلقا بإيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة وسماه علم البيان".[3]

فقد حصر السكاكي علم البلاغة في علمين إثنين هما: علم البيان وعلم المعاني وجعل علم البديع متمما لهما، وقد شكلت مرحلة السكاكي مرحلة حاسمة في تاريخ البلاغة العربية، حيث نضجت فيه علوم البلاغة الثلاثة "علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع" فأدى ذلك إلى وضوح ملامح الدرس البلاغي العربي وكان كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي بمثابة الصياغة النهائية لهذا العلم.

(1)- عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص9.

(2)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص160.

(3)- علي عبد الرزاق: أمالي في علم البيان وتاريخه، د طبعة مقداد، د.ط، 1330هـ، ص27.

– تعريف البلاغة

البلاغةلغة: جاء في معجم الصحاح:"بلغ:بَلَغْتُ المكان بُلوغًا:وصلت إليه، وكذلك إذا شارفتَ عليه. والبَلاغَةُ:الفصاحةُ وبَلُغَ الرجلُ بالضم، أي:صار بَلِيغًا. والبَلاغاتُ، كالوشاياتِ. والبُلَغينُ: الداهية. وفي الحديث أن عائشة قالت لعليّ رضي الله عنهما حين أُخِذَتْ:«بَلَغْتَ مِنَّا البُلَغين».وبالَغَ فلانٌ في أمري،إذا لم يقصِّر فيه."[1]

جاء في معجم مقاييس اللغة: "(بلغ) الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء. تقول بلغت المكان، إذا وصلت إليه ... وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يريده"[2]

البلاغة من أهم علوم اللغة العربية التي استأثرت بجهود العلماء والباحثين، فقد تطرق إلى هذا العلم كثير من البلاغيين وعلماء البيان حيث عرفها الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة بقوله: "وأما بلاغة الكلام فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[3] يقصد بمقتضى الحال كل ما يتطلبه ويستوجبه الحال / المقام من خصائص أسلوبية ليتحقق الغرض من الخبر في أحسن صورة ومن ذلك خصائص الإيجاز والاطناب والتكرار...

فالمقام هو الذي يحدد القول الأنسب والأبلغ الذي يحقق المراد لكل من المخاطب والمتلقي، "فالبلاغة صفة راجعةإلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا"[4] وهذا ما ذهب إليه السكاكي إذ عرفها بقوله: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها".[5]

فالبلاغة عند السكاكي ترتبط بالمتكلم تارة وبالكلام تارة أخرى، فهي تقتضي بأن الكلام يوفي التراكيب حقها في تعبيرها عن المعاني، ونلاحظ أنه في تعريفه قد أخرج علم البديع واعتبر المحسنات اللفظية ليست من البلاغة.

---

(1)– ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري:تاج اللغة وصحاح العربية مرتب ترتيبا ألف بائيا وفق أوائل الحروف،تح:محمد محمد تامر وآخرون،دار الحديث،القاهرة،1430هـ-2009م،ص 111،112.

(2)– أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399، 1979م، مادة (بلغ)، ص301، 302.

(3)– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، ص20.

(4)–المرجع نفسه، ص20.

(5)- إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبيان والمعاني، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1417هـ - 1996م، ص269.

جاء أيضا في كتاب الجاحظ البيان والتبيين "لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط. سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة".[1]

– تعريف علم البيان

جاء في لسان العرب: "البيان: الفصاحة واللسن، وكلام بين فصيح، والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبَيِّن من الرجال: الفصيح ابن شميل: والبين من الرجال السمح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرتج. وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما. ورجل بين: فصيح"[2].

ويعرفه التهانوي في الكشاف بقوله: "لغة الفصاحة، يقال: فلان ذوبيان أي فصيح وهذا أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما... البيان الكشف والتوضيح، وقد يستعمل بمعنى الإثبات بالدليل."[3]

إذن فإن مفهوم البيان يتمحور حول فصاحة اللسان ويكون دلالة على الكشف والإظهار أيضا.

ومن أكثر البلاغيين دراسة للبيان الجاحظ الذي يرى أن البيان: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[4]

ويرى ابن رشيق أن البيان "هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة، وإنما قيل ذلك؛ لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان".[5]

---

(1)–أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، د ط، ص115-116.

(2)- أبو الفضل مال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، ط4، 2005م، ج2، مادة (بين)، ص199.

(3)- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، ص348، 349.

(4)- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ص76.

(5)- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1420هـ - 2000م، ج1، ص407.

إذن فمعنى البيان عند البلاغيين منحصر في الكشف والإفصاح عن المعنى، فالجاحظ يشير إلىأن أي شيء يوضع للإفهام فهو بيان فكل ما هو معقد مبهم من الكلام غير واضح لا يستحق اسم بيان لأن غاية القائل والسامع واحدة وهي الفهم والإفهام.

ومن علماء البيان الذين عرفوا هذا العلم السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" الذي يقول: "وأما علم البيان: فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عند الخطأ في مطابقه الكلام لتمام المراد منه".[1]

ويقصد بذلك أن علم البيان هو الإتيان بالمعنى الواحد بعده طرق مختلفة من أجلالزيادة في الوضوح وحسن الإفهام.

كما انتهى إليه الدرس البلاغي العربي فإن مباحث علم البيان تتمثل في خمس أصول هي على النحو التالي:

- التشبيه
- المجاز الاستعاري (الاستعارة)
- المجاز المرسل
- المجاز العقلي
- الكناية

أعلام علم البيان:

اهتم العديد من البلاغيين بدراسة علم البيان نظرا لأهميته في جميع العلوم اللسانية التي تقوم عليه، وسنذكر فيما يلي بعض أشهر العلماء الذين برزوا في ميدان هذا العلم:

1- عبد القاهر الجرجاني

إن عبد القاهر أشهر أئمة البلاغة وأبلغهم ويعد أفصح علماء عصره هو "عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وكل ما نعرفه عنه أنه ولد بجرجان إحدى المدن المشهورة بين طبرستان وخرسان، وأنه كان فقيها شافعيا ومتكلما أشعريا، ...غير أن شهرته إنما دوت في الآفاق بكتاباته البلاغية، ويقولون إنه ظل ببلدته لا يبرحها حتى توفي سنة 471 للهجرة."[2] وكما قال شوقي ضيف فإن شهرة عبد القاهر كانت بفضل كتاباته البلاغية وأشهر ما

(1)- أبو بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، ص162.

(2)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص160.

كتب هما كتابي "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" حيث استطاع من خلالهما وضع نظرتي علم المعاني وعلم البيان فالنظرية الأولى كانت في كتابه "دلائل الإعجاز"أما النظرية الثانية وهي نظرية علم البيان فقد خصها بكتابه "أسرار البلاغة" بعد هذين الكتابين من أمهات الكتب البلاغية فلهما مكانة تاريخية كبيره فيقول بدوي طبانة فيه "يمكن اعتبار عصر عبد القاهر مرحلة النضج والرشد الفكري في تلك الحياة."[1]

2- الإمام الزمخشري

جاء بعد عبد القاهر إمام المفسرين صاحب الكشاف وهو "جار الله محمود بن عمر، ولد بزمخشر من إقليم خوارزم الفارسيسنة 467 للهجرة، ... وأقبل على دراسة العلوم اللغوية والدينية، ورحل كثيرا، فأقام ببغداد مدة، وجاور بمكة طويلا، وبها أما تفسيره"الكشاف" وعاد إلى وطنه وتوفي به سنة 538."[2]

نال شهرته هذه بفضل مؤلفه في علم التفسير الذي سماه "الكشاف" الذي أبدع فيه في تأويل وتفسير القرآن وله أيضا مصنفات مشهورة بجانب الكشاف منها "المفصل" في النحو، ومعجمه "أساس البلاغة" وهو من أشهر المعاجم البلاغية.

3- السكاكي

أشهر من ذاع صيته بعد من تم ذكرهم سابقا هو السكاكي صاحب "مفتاح العلوم"ولد سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي في خوارزم سنة 555 للهجرة"[3] وقد أختلف في نسبة اسمه – السكاكي– فقيل لأن عائلته تحترف صنع المعادن وخاصة السكك ومنها يشاع لقبه، وقيل لقب سراج الدين بالسكاكي لولادته بقريه تسمى سكاكة، وقيل أيضا بأن أحد أبويه كان له أصول سكاك فنسب له. يتضح أنه أشتهر في عصره شهرة واسعة[4] وفيه يقول ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "أنه علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والعروض والشعر، متكلم، فقيه، متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان".[5]

ومما لا شك فيه أن شهرته دوت بما جاء في "مفتاح العلوم" الذي أجاد وأحسن فيه ترتيب القواعد وتبويبها، فقد قسمه إلى ثلاثة أقسام، تحدث في القسم الأول عن علم الصرف، وجعل القسم الثاني في علم النحو، أما

(1)- بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1377هـ، 1958م، ص116.
(2)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص219.
(3)- المرجع نفسه، ص286.
(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص287.
(5)- بدوي طبانة: البيان العربي، هامش، ص165.

القسم الثالث الذي يعود له الفضل في هذه الشهرة فقد خصه بعلمي المعاني والبيان ولواحقهما من الفصاحة والبلاغة والمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية، فقد انتهى بها إلى صيغتها النهائية التي عكف عليها من جاء بعده من العلماء، حيث استفاد من كتابات سابقيه في وضع هذا الكتاب بطريقة دقيقة ومفصلة وعمدته في ذلك كان تلخيص الفخر الرازي، إذن فقد اكتملت البلاغة عنده وأصبح البيان علما بحد ذاته.[1]

و"اختلف من ترجموا له في تعيين سنة وفاته هل هي سنة 623 أو 627 والراجح أنه توفي سنة 626 للهجرة."[2]

– أهمية علم البيان

- علم البيان أحد علوم البلاغة العربية فأهميته تأتي من أهميتها، إذ يعد أحد أهم دعائم وركائز الفنون الأدبية للغة العربية؛ لأن عمله الأساسي توضيح خواص الكلام ومعرفة مواطن الحسن والقبح فيه، فصاحب الصناعتين يشير إلى ذلك بقوله: "لتربية الذوق الأدبي، والتمييز بين جيد الكلام ورديئه"[3] فهو يشير إلى أن علم البيان ضروري ويجب معرفته لتأدية الكلام في صورة جميلة.
- يقول فيه بدوي طبانة: "وقد أصابوا في إحلال "البيان" ذلك المحل من العلوم العربية، فإن العلوم اللسانية جميعا إنما تهدف إلى البيان، الذي عنى به العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وشغلوا به في عصور ازدهار العربية"[4] وهذا تصريح واضح بأهمية علم البيان في التراث العربي وأنه يستحق هذه المكانة من العلوم، فكل البحوث اللسانية تهدف للبيان.
- علم البيان بأساليبه المتنوعة خادم للغة العربية وذلك "لأثره البعيد في خدمة لغة العرب، إذ هو يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها، ويجلي أساليبها المختلفة، وفضل التعبير بكل أسلوب منها"[5] فهو مساير لأي نشاط فكري لغوي أو أدبي يخدم التراث القديم أو الحديث.
- إعطاء طابع الإيضاح والتفسير لكل مكتوب أو منطوق فهو: "يفسر الملامح الجمالية التي تبدو في قصيدة الشاعر أو خطبة الخطيب، أو رسالة الكاتب، أو نقالة المتكلم."[6]

(1)- ينظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص287، 288.

(2)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص287.

(3)- عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص19.

(4)- بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص9، 10.

(5)-المرجع نفسه، ص10.

(6)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

- ساهم ولا يزال يساهم في فهم وتأويل العقيدة وتفسير ما جاء فيها؛ "فله ميدانا آخر رحبا فسيحا في مجال العقيدة ودراستها، واللغة والعقيدة هما حلقتا المجد في سلسلة أمجاد الأمة العربية، وسر حياتها وعظمتها، وسر بقائها وخلودها"[1] فالبيان يعمل على إبراز ما في كتاب الله عز وجل من جمال وبيان سر إعجازه وذلك إن كان من ناحية معناه ودلالته، أو من ناحية أداء الأساليب والتعبير عن دلالتها.

إذن فعلم البيان من أهم الفنون والعلوم المرتبطة باللغة التي تعد جسر التواصل بين المخاطبين والمستمعين،أو القارئين والكتاب،فلا يمكن الاستغناء عنه بأي شكل من الأشكال.

(1)-بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص 10.

الفصل الأول: علم البيان– الحدود والأقسام

المبحث الأول: في الحدود

المبحث الثاني: في الأقسام

تمهيد

علم البيان يدور حول خمسة أصول وهي التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية. حيث سنتطرق في هذا الفصل إلى دراسة هذه المباحث من ناحية المفهوم والتقسيم.

وعنونا هذا الفصل بـ: "علم البيان – الحدود والأقسام"؛ ولأن كل علم أو مصطلح متعلق به يحتاج تعريفا فإن المبحث الأول كان "في الحدود"، الذي سندرس فيه مفاهيم وحدود أصول علم البيان عند الجرجاني في الأسرار والسكاكي في المفتاح، حتى نتعرف عليها ونعرف وجهة نظر كل منهما اتجاه هذه الأصول، وكيفية توظيفها والغرض منها.

أما المبحث الثاني فكان لمعرفة أقسام هذه الأصول، إذ لا يخلو كل علم من تقسيمات وتفريعات، وكذلك سنتطرق إلى تقسيم كل من الجرجاني والسكاكي لتلك الأصول، حتى نتمكن من معرفة المنهجية التي اعتمداها في عملية التقسيم، وإبراز الفروق بينهما.

المبحث الاول: في الحدود

1- التشبيه:

يعد التشبيه من أهم مباحث علم البيان التي نالت حظا كبيرا من الدراسة من طرف العلماء البلاغيين القدماء والمحدثين على حد سواء، فهو يعد نوعا من أنواع الفنون الأدبية التي تساهم في جمالية النصوص وتقريب المعنى للقارئ، وهو في اللغة:"الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، فالأمر الأول هو المشبَّه، والثاني هو المشبّه به وذلك المعنى هو وجه التشبيه، ولابد فيه من آلة التشبيه، وغرضه، والمشبه"[1] فالمقصود بالتشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى بإحدى أدوات التشبيه، ويعرفه علماء البيان بأنه:"إلحاق أمر بأمر في صفة مشتركة بينهما، بأداة ملفوظة أو ملحوظة لغرض يقصده المتكلم،فأجزاء التشبيه أربعة: المشبه والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه بالإضافة إلى الغرض الذي يرمي إليه المتكلم بعقد التشبيه، فلا بد لكل تشبيه من غرض يقصده المتكلم، ويرمي إلى تحقيقه"[2] فالتشبيه في مفهومه العام هنا يقوم على المشاكلة في الكلام من خلال التشارك بين أمرين أو أكثر في المعنى والوصف من أجلإيصال المعنى الذي يرمي إليه المتكلم، فلكل تشبيه غرض يقصده المتكلم.

درس الجرجاني التشبيه دراسة دقيقة فقد تناوله من جميع جوانبه فهو يعرفه بقوله: "إن تنزيل الوجود منزلة العدم،أو العدم منزلة الوجود، ليس من حديث التشبيه في شيء، لأن التشبيه أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك،أو حكما من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد."[3]

يشير التعريف الذي جاء على لسان الجرجاني إلى فكرة مفادها أن التشبيه إنما يقوم بين عناصر يشبه أحدها الآخر في صفة من الصفات، فالتشبيه ليس مجرد مزج عشوائي بين أجزاء من الكلام لا صلة تربطها بل يجب أن تكون مستوحاة من المشبه به، فاذا "شبهت، ولا تعني في كونك مشبها أن تذكر حرف التشبيه أو تستعير، انما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتبينه، ولا يمكنك بيان ما لا يكون، وتمثيل ما لا تتمثله الأوهام والظنون."[4]

---

(1)-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، الإمارات- دبي، د.ط، ص 52.

(2)- بسيوني عبد الفتاح فيود: دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ - 14998م، ص85.

(3)- عبد القاهر عبد الرحمان الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م، ص68.

(4)- المرجع نفسه، ص115.

ويقول في موضع آخر:"اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين:أحدهما:أن يكون من جهةأمر بين لا يحتاج إلىتأول. والثاني أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول."[1]

يقصد بالضرب الأول أن يشبه الشيء بالشيء بصورة ظاهرةواضحة من حيث الهيئة والشكل مثل تشبيهنا لحمرة الخدود بالورد، فهذا تشبيه واضح مباشر يفهمه السامع فغرض المتكلم بيّن،أما الثاني فيحتاج إلى ضرب من التأويللحاجة السامع لتأويله من أجل فهمه وهذا التأويل يتفاوت فمنه ما يلزم تأمل دقيق ومنه ما يحتاج إلى عمق وتفكير وروية، ومنه ما يشبه الضرب الأول لكونه لا يحتاج إلىتأول لعدم تعقيده، فـ"ما كان معناهإلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك،أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه وصيانته من كل ما أخل بالدلالة، وعاق دون الإبانة، ولم يريدواأن خير الكلام ما كان غُفْلًا مثل ما يتراجعه الصبيان ويتكلم به العامة في السوق. هذا وليس إذا كان الكلام في غاية وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح،أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفا، فإن المعاني الشريفةاللطيفة لابد فيها من بناء ثان على أول، ورد تال على سابق"[2] ويعني بهذا ضرورة الانتقاء الجيد للألفاظ وحسن ترتيبها ونظمها في مواضعها الملائمة في السياق؛لكي توحي بمعنى واضح ومفهوم خال من الغموض والتعقيد، فما يشترط في الكلام مهما كان نوعه عاميا أو بليغا أو غاية في الوضوح؛ التفكير في جعل المعنى يبلغ ذروته وعلوه في منزلة اللطف والتشرف من خلال تكرار بناء الالفاظ ليتركب المعنى الشريف. فنلاحظ من هذا أنه يسبق المعنى على اللفظ ويمنحه أهمية كبرى.

وفي تعريف آخر يقول الجرجاني "اعلم أن الشبه إذا انتزع من الوصف لم يخل من وجهين أحدهما ان يكون لأمر يرجع إلى نفسه والآخرأن يكون لأمر لا يرجع إلى نفسه."[3]

يقصد بقوله أن يكون لأمر يرجع إلى نفسه؛ أي يأتي الشيئان على نحو واحد دون استعمال أي أداة تحمل دلالة التشبيه كمثال الكلام الحلو والعسل، فعند قولنا بالكلام الحلو فهو الذي يتلقى قبولا من قبل السامعين جراء حسنه ومدى حلاوته كحلاوة العسل أي أنه هنا نزع تشبيه من وصف ودل على شيء راجع على نفسه؛ الحلاوة والعسل.أما الثاني انتزاع الشبه أو ما يعرف بأداة الشبه لأمر لا يرجع إلى نفسه؛ يعود لعدم كون الشيء مستعمل في غير موقعه الأصلي"فمثاله أن يتعدى الفعل إلى شيء مخصوص يكون له من أجله حكم خاص."[4] مثل قولنا قبضت الماء فالماء لا يقبض ولا يمسك على غرار أشياء أخرى قابلة للمسك فبدلا من قولنا قبض الملعقة مثلا نقول قبض الماء وهو من غير الممكن ولهذا سمي بنزع الشبه.

(1)-عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص69.

(2)- المرجع نفسه، ص110،111.

(3)- المرجع نفسه، ص78.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ويرى الجرجاني أن التمثيل نوع من أنواع التشبيه إذ يقول في ذلك:"وإذا قد عرفت الفرق بين الضربين، فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا".[1]

فهو يشرحعلاقة التشبيه بالتمثيل فيجعله –التمثيل– جزءا منه فكل تمثيل عنده تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا، وبهذا فهو ينفي ما يذهب إليه بعض البلاغيين الذين يجعلون التشبيه مرادفا للتمثيل لكون المعنى اللغوي للتشبيه هو التمثيل، ومن هؤلاء البلاغيين "ضياء الدين الأثير" الذي يقول:"وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباولهذا بابا مفردا وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال مثلته به. وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه."[2]

فابن الأثير من البلاغيين الذين لم يفرقوا بين التشبيه والتمثيل على خلاف علماء البيان الذين جعلوا لكل منهما بابا مفردا.

تبعا لما درسه الجرجاني في الأسرار يستوقفنا ما جاء به السكاكي في المفتاح أثناء دراسته لعلم البيان الذي تطرق فيه إلى التشبيه حيث عرفه بقوله:"أن التشبيه مستدع طرفين، مشبهًا ومشبهًا به واشتراكا بينهما من وجه، وافتراقا من آخر."[3]

يقصد بهذا التعريف اشتراك أمرين مختلفين (المشبه والمشبه به) في صفةأو أكثر، "فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر"[4]؛ أي وجوب الاشتراك بين المشبه والمشبه به في أمرأو صفة ما فـ"الشيء لا يتصف بنفسه"[5]، فلا يمكننا أن نصف شيئا بنفسه فلا يمكن وصف أسدبشجاعةأسد؛ فلابد من وصف شجاعة زيد بشجاعة الأسد لتحقيق شرط الافتراق والاشتراك بينهما من وجه، فـ "عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف"[6]؛ فالسكاكي هنا يؤكد على ضرورة وجود طرفا للتشبيه (المشبه والمشبه به) ووجه الشبه بينهما والغرض من التشبيه والمتمثل في الوصف.

ويقول صاحب المفتاح في موضع آخر:"واعلم أن ليس من الواجب في التشبيه ذكر كلمة التشبيه، بل إذا قلت زيد أسد، واكتفيت بذكر الطرفين عدّ تشبيها".[7]

(1)–عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص73.

(2)– عبد العزيز عتيق، علم البيان، ص64.

(3)– السكاكي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص332.

(4)– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5)–المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(6)–المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(7)– السكاكي: مفتاح العلوم، ص354.

فالسكاكي لا يشترط في التشبيه ذكر كلمة تشبيه بل يفهم من سياق الكلام بذكر المشبه والمشبه به.

وقال أيضا:"واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدةأمور خص باسم التمثيل كالذي في قوله:

اصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله"[1]

ميز السكاكي بين التشبيه والتمثيل أو التشبيه التمثيلي فقد خص التمثيل بما كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور، وهذا ما ذهب إليه أيضاالجرجاني فقد فرق هو أيضا بين التشبيه والتمثيل، فقد جعل التمثيل جزءا من التشبيه، فعنده كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا كما سبق وذكرنا. فقد درس عبد القاهر التشبيه والتمثيل والفرق بينهما بدقة وتفصيل مع ذكره لأمثلة توضيحية لكل منهما، أما السكاكي فتناول التشبيه التمثيلي حيث اكتفى بذكر تعريفه مع التمثيل له، على عكس الجرجاني الذي أسهب في تناول هذا الموضوع – التشبيه والتمثيل– ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد: "ويعمد عبد القاهر إلى بيان فرق دقيق بين التمثيل والتشبيه العادي، ذلك أنك في تشبيه المفردات تستطيع أن تعكس التشبيه للمبالغة، فتجعل المشبه مشبها به والمشبه به مشبها كأن تشبه النجوم بالمصابيح والورود بالخدود ..."[2].

ومما اتفق فيه كل من الجرجاني والسكاكي أن التشبيه هو اشتراك شيئين أو أمرين مختلفين في صفة أو أكثر،"ويعمم عبد القاهر هذا القياس في التشبيه بجميع صوره، فكلما اشتد التباعد بين الشبهين كان ذلك أمتع للعقول وأطرب للنفوس."[3] وهذا ما ذهب إليه أيضا السكاكي في تعريفه للتشبيه الذي اشترط فيه الاشتراك بين طرفين في وجه والافتراق في وجه آخر.

اذن فقد تعدّدت تعريفات التشبيه عند البلاغيين لكن جوهرها وفحواها يدور حول معنى واحد وهو الدلالة على اشتراك شيئين مختلفين في صفه أو أكثر لغرض ما، ويشترط فيه ألا يكون الوصف منتزعا منها.

2– الاستعارة

الاستعارةصورة بلاغية في علم البيان نالت حظا وفيرا بالدراسة من طرف البلاغيين وعلماء البيان، وتعني في اللغة كما جاء في لسان العرب:"استعارة الشيء واستعاره منه أن طلب منه أن يعيره إياه."[4]

(1)– السكاكي: مفتاح العلوم ، ص346.

(2)– شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص204.

(3)– المرجع نفسه، ص199.

(4)– جمال الدين أبو الفضل محمد ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، مجلد3، ط1، 1426هـ – 2005م، ص575.

وجاء في معجم التعريفات: "ادعاء معنى الحقيقة في الشيء بالمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه مع البيّن"[1]

وتعرف الاستعارة في اصطلاح البيانيين بأنها:"استعمال اللفظ في غير ما وضع له علاقةالمشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي"[2]؛ وهذا يعني نقل اللفظ من معناه الأصليإلى معنى آخر بوجود قرينة دالة عليه لعلاقة مشابهة في المعنى بينهما –المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه–.

وجاء في تعريف الاستعارة أيضا: "فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا"[3]، وهذا التعريف أيضا يشير إلى أن الاستعارة تقوم على المشاكلة وذلك بوضع كلمة مكان أخرى.

من أهم علماء البيان الذين عُنوا بدراسةالاستعارة نجد عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" حيث يقول:"اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختُص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية".[4]

يشير تعريفه هذا إلىأنالاستعارة من قبيل المجاز أو عمل لغوي فينقل المعنى الموضوع (الأصلي)إلى غير ذلك المعنى، فهي إذا تدخل في المجاز عن طريق اللفظ المنقول عن أصله والمستعمل في غير موضعه ويقول عبد القاهر في موضع آخر:"اعلم أن الاستعارة كما علمت تعتمد التشبيه أبدا."[5] يهدف بقوله هذا إلىأنالاستعارة تعتبر كنوع من التشبيه لكنها ليست التشبيه في حد ذاته؛ "اعلم أن الوجه الذي يقتضيه القياس، وعليه يدل كلام القاضي في الوساطة،أن لا تطلق الاستعارة على نحو قولنا: "زيد أسد" و "هند بدر"، ولكن تقول: هو تشبيه، وإذا قال:"هو أسد، لم تقل:"استعار له اسم الأسد"، ولكن تقول "شبهه بالأسد""[6]،فالاستعارة تستلزم حذف أحد طرفي التشبيه مع شرط الإبقاء على قرينةدالة عليه، وعلى عكس التشبيه الذي يكون فيه كل من المشبه والمشبه به مثل قولنا: زيد أسد فهذا تشبيه لزيد بالأسد،أما قولنا هو أسد فقد استعرنا اسم الأسد ونقول أننا شبهناه بالأسد على سبيل الاستعارة،إذا فالاستعارة تتطلب تشبيها على سبيل الإعارة. ولذلك قد يلتبس على البعض التفريق بين

(1)–الشريف الجرجاني: معجم التعريفات،ص20.

(2)– أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصري، صيدا – بيروت، د . ط، ص258.

(3)– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2، 1393هـ 1973م، ص135.

(4)– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص31.

(5)– المرجع نفسه، ص47.

(6)–المرجع نفسه، ص230.

الاستعارة والتشبيه، ويقول في هذا عبد القاهر:"ولذلك تجد الشيء يلتبس منه حتى على أهل المعرفة"[1]، لذلك وجب التنبيه إلى أخذ الحيطة والحذر أثناء التعامل معهما –الاستعارة والتشبيه–.

يشير عبد القاهر إلى وجود استعارة غير مفيدة وأخرى مفيدة وهو يهمل الاستعارة غير المفيدة ولا يعطيها أولوية لأنها لا تعطي فائدة، ويقول في هذا الصدد:"اعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول"[2] فهو يعني بذلك أن الاستعارة غير المفيدة تخرج من إطار الاستعارة المستعملة، وجعل تركيزه على الاستعارة المفيدة حيث يعرفها بقوله:"وأما " المفيد" فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك"[3] فالجرجاني يشير بهذا الى أن الاستعارة تكون بتحقيقها لفائدة وغرض من الأغراض ومعنى من المعاني، ولذلك أطلق عليه اسم الاستعارةالمفيدة.

وكما عرّف الجرجاني الاستعارة نجد السكاكي عرّفها أيضا في كتابه مفتاح العلوم بقوله:"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به ،كما تقول: في الحمام:أسد وأنت تريد به الشجاع، مدّعيا أنه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر"[4]؛ يشير هنا أن الاستعارة تكون بحذف أحد طرفي التشبيه (المشبه أو المشبه به)؛ وهذا يعني وجود نوعين من الاستعارة، فيكون الطرف المذكور دالا على المحذوف بشرط كون المشبه من جنس المشبه به، مع ترك قرينة دالة على الاشتراك بينهما،"ويسمى المشبه به، سواء كان هو المذكور أو المتروك، مستعار منه، واسمه مستعارا له، والذي قرع سمعك، من أن الاستعارة تعتمد إدخال المستعار له في جنس المستعار منه."[5]

وهذا القول فيه تأكيد على وجود نوعين من الاستعارة، أحدهما يكون بترك المشبه به وحذف المشبه وتسمى استعارة تصريحية،والثانية بذكر المشبه وحذف المشبه به وهي تعرف بالاستعارةالمكنية.

وقد نقل صاحب معجم المصطلحات العربية عن السكاكي قوله:"هي تشبيه حذف منه المشبه به أو المشبه، ولا بد أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائما،كما لابد من وجود قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به أو المشبه"[6]؛ أي أن الاستعارة هي انزياح للدلالة عن المعنى الأصلي للفظ إلى معان أخرى أصلها تشبيه حذف منه أحد الأطراف مع ترك ما يدل عليه، ولهذا ذهب المحدثون إلى أنها أبلغ من التشبيه "لأن

(1)–عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص229.

(2)– المرجع نفسه، ص39.

(3)–المرجع نفسه، ص32.

(4)– السكاكي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص369.

(5)- المرجع نفسه، ص370.

(6)– محي الدين ديب ومحمد أحمد قاسم: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003، ص193.

التشبيه مهما تناهى في المبالغة، فلابد من ذكر المشبه والمشبه به. وهذا اعتراف بتباينهما وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتداني"[1]؛ فالتشبيه مهما كان بليغا تبقى الاستعارة أبلغ منه لأن التشبيه البليغ يكون بذكر المشبه والمشبه به في حين أن الاستعارة تكتفي بذكر أحدهما مع ترك الدلالة على الآخر.

ويقول الجرجاني في ذلك "وهي أمدّ ميدانا، وأشد افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصناعة وغورا، من أن تجمع شُعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها."[2] فالجرجاني يصف هنا بلاغة وجمالية الاستعارة وبعدها التصويري والتخيلي الذي يضفي على المعنى جمالا ورونقا إذ لا يمكن حصر الاستعارة في علاقة مشابهة فقط.

اتفق كل من الجرجاني والسكاكي في تعريفهما للاستعارة على فكرة انتقال المعنى من موضعه الأصلي إلى موضع آخر، وأدخلاها في دائرة التشبيه وذلك لوجود علاقة تشابه وتشارك بينهما، بينما الجرجاني قال بأنها تدخل دائرة المجاز أيضا عن طريق اللفظ المنقول عن أصله والمستعمل في غير موضعه،كما أشاد ببلاغتها.

الجرجاني نظر إلى الاستعارة من حيث فائدتها وهكذا قسمها إلى مفيدة وغير مفيدة، أما السكاكي فقد درسها من وجهة ذكر أو حذف أحد طرفيها.

3– المجاز

كان المجاز مدارا للبحث عند الكثير من العلماء منذ القديم، فقد تعددت مفاهيم العلماء له،فأول من جاء بهذا المصطلح هو أبو عبيدة بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن" وهو لم يعن بكلمة مجاز المعنى البلاغي الذي عرفه علماء البلاغة، الذي يعني استعمال اللفظ أو التركيب في غير معناه الذي وضع له مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، بل أراد أبو عبيدة بها ما تم التواضع عليها في اللغة بمعنى طريق الوصول إلى فهم معاني الآيات القرآنية[3].

ويعرفه التهانوي في الكشاف بقوله:"وعند أهل العربية خلاف الحقيقة. وهما أي الحقيقة والمجاز يطلقان على اللفظ حقيقة وعلى المعنى مجازا. هذا وقالوا لفظ الحقيقة والمجاز مقول بالاشتراك على نوعين لأن كل منهما إما في المفرد أو في الجملة وإليه مال السيد السند حيث قال في حاشية شرح مختصر الأصول: حدّ كل واحد من وصفي الحقيقة والمجاز إذا كان الموصوف به المفرد غير حدّه إذا كان الموصوف به الجملة."[4]ويقصد صاحب الكشاف أن المجاز هو اللفظ الذي وضع لغير معناه ويكون مشتركا في نوعين مفرد أو جملة، حيث يختلف حده بين المفرد والجملة.

(1)–محي الدين ديب ومحمد أحمد قاسم: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ص193.

(2)– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص39.

(3)– ينظر: بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، ص18.

(4)– التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص1456.

ويعرفه كذلك الجرجاني في معجم التعريفات بأنه:"ما جاوز وتعدى عن محلّه الموضوع له إلى غيره لمناسبة بينهما، أما من حيث الصورة، أو من حيث المعنى اللازم المشهور، أو من حيث القرب والمجاورة كاسم الأسد للرجل الشجاع، وكألفاظ يكنى بها الحديث"[1] وهذا يعني تعديه اللفظ لمعنى آخر لوجود علاقة بينهما سواء من حيث الصورة أو المعنى اللازم المشهور أو من حيث القرب والمجاورة.

جاء في معجم المصطلحات البلاغية العديد من تعريفات البلاغيين للمجاز فابن الأثير يقول:"وأما المجاز، فهو ما أريد به غير المعنى الموضع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع،إذا تخطاه إليه."[2]

ويقصد أن المجاز هو كل ما وضع لغير معناه اللغوي الأصلي أي أنه ينتقل من مكان إلى مكان آخر أو من محل إلى محل.

ويعرف أيضا بأنه:"اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي."[3]

من البلاغيين الذين أولوا اهتماما كبيرا بدراسة المجاز عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" حيث تناول فصولا في الحديث عنه ويعرفه بقوله:""المجاز""مَفْعَلٌ" من "جاز الشيء يجوزه"، إذا تعداه. وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه "مجازي"، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا."[4] وهذا يعني أن اللفظ إذا تجاوز معناه الأصلي إلى معنى آخر فهو مجاز.

خصص الجرجاني فصلا في حدي الحقيقة والمجاز إذ جعل حد كل منهما في المفرد غير حده في الجملة؛ فحد المجاز في المفرد عبر عنه بقوله:"وأما المجاز، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز وإن شئت قلت:"كل كلمة جزت بها ما وقعت به في الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بينما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، فهي "مجاز"."[5] وهنا عبد القاهر يؤكد على فكرة يدور فحواها حول أن المجاز هو عبارة عن تعدي اللفظ معناه الأصلي الذي وضع له باجتماع الجماعة اللغوية إلى معنى ثاني مقترن بقرينة معينة وهذا يتجلى في قوله (الملاحظة بين الأول والثاني)،إذ تجعل بينه وبين اللفظ علاقة غير مباشرة دالة على أنه ليس بالمعنى المقصود، وإنما فقط وضع لتأدية مفهوم معين مخالف للأول وهذا سر بلاغة المجاز الذي يعد من أعمدة البلاغة العربية.

(1)- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص169.

(2)- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة مضر للطبع والنشر، القاهرة، د. ط، ج1، ص84.

(3)- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص251.

(4)- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص278.

(5)-المرجع نفسه، ص249.

وفي سياق مقارب من هذا يقول:"أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأوُّل فهي مجاز."[1] فبعد أن ضرب لنا الجرجاني تعريفا للمجاز مفردا، لم يغفل المجاز جملة والذي لا يكاد يختلف عن الأول في معناه؛ وهو الخروج عن معنى أصلي باتجاه معنى فرعي غير الذي وضع له بداية، فقط الاختلاف يكمن فيما يقترن به المعنى.

فمعنى اللفظ يقترن بعلامة معينة(قرينة) دالة عليه على غرار معنى المجاز في الجملة فيقترن تأويله حسب السياق الذي قيلت فيه فكثير من الجمل قيلت ولكن معناها يخرج لأغراض عدة من بينها الاستنكار، التعجب، الاستهزاء ... تخالف الغرض الرئيسي الذي تؤديه من منطلق معناها اللغوي العادي.

سار السكاكي على نهج الجرجاني في دراسة المجاز حيث قام بتعريفه في عدة مواضع على النحو التالي:"وأما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع."[2] ويقصد هنا أن يخرج المجاز من دائرة الاستعارة في الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي دون العودة أو النظر إلى حقيقته التي وضعت له، وفي قوله (مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع) إشارة إلى حد الكناية وهو في هذا التعريف تطرق إلى حدود كل من الاستعارة والمجاز والكناية موضحا الفرق بينها.

وفي نفس السياق يقول:"هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة، استعمالا في الغير، بالنسبةإلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدل عليه بنفسها، في ذلك النوع."[3]

فالمجاز حسب رؤية السكاكي لا يقصد به المعنى الحرفي للفظ بل يتعداه إلى معنى غير ظاهر وهذا المعنى غير الظاهر يكون في علاقة غير مباشره مع المعنى الحرفي مع وجود قرينة تدل عليه أي بتلك القرينة نستطيع الحكم بذلك المعنى غير الظاهر.

إن الجرجاني والسكاكي تناول المجاز مرتبطا بالحقيقة، وذلك من خلال وضع حد كل منهما وكلاهما يشيران إلىأن المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له، بينما يجعلان الحقيقة هي استعمال اللفظ فيما وضع له في الاصطلاح اللغوي وفي هذا الصدد يقول ابن الاثير:"وعلم أن كل مجاز فله حقيقة،لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعة له، إذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان، فجُعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها."[4]

(1)-عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص272.
(2)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص359.
(3)- المرجع نفسه، ص359، 360.
(4)- ابن الأثير: المثل السائر، ص88.

إذن فكل مجاز لابد له من حقيقة ينقل عنها حتى يطلق عليه مجازا، وليس بالضرورة أن يكون لكل حقيقة مجاز، فهناك أسماء لا مجاز لها كأسماء العالم مثلا، وابن الاثير من العلماء الذين جعلوا المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة فقد ضرب قولا في هذا يؤكد به على هذه الفكرة حيث يقول:"وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكان الحقيقة التي هي الأصل أولى منه، حيث هو فرع عليها، وليس الأمر كذلك،لأنه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير، حتى يكاد ينظر إليه عيانا."[1]

كما يجدر بنا الإشارة إلى أن الجرجاني قد تطرق إلى حدي المجاز مفردا وجملة بينما السكاكي قد جعل تعريف المجاز عاما ولم يخصص.

4-الكناية

الكنايةأيضا من أصول علم البيان التي ترتبط بجمال النص الأدبي وقد نالت أيضا حظا وفيرا من الدراسة لكثرة استعمالها وجماليتها فهي تضفي على المعنى رونقا وجمالا، وقد جاء في معجم الصحاح:"الكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، وقد كَنَيْتُ بكذا عن كذا وكَنَوْتُ."[2]

والكناية عند علماء البيان كما جاء في معجم التعريفات للجرجاني:"هي أن يعبر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع نحو:"جاء فلان" أو لنوع فصاحة نحو:"فلان كثير الرماد" اي كثير القرى."[3]

وفي نفس السياق يقول:"الكناية: ما استتر معناه لا تعرف الا بقرينة زائدة، ولهذا سموا التاء في قولهم:"أنت" والهاء في قولهم:"إنه" حرف كناية، وكذا قولهم:"هو" وهو مأخوذ من قولهم:"كنوت الشيء وكنيته"أي سترته."[4] من خلال هذه التعريفات نستنتج أن الكناية هي ذكر الشيء لفظا أو معنا بأسلوب غير مباشر، والغرض من ذلك قد يكون مراوغة السامع وعدم تمكنه من الفهم مباشرة؛ كأن تقول "فلان يده طويلة"أي أن الشخص له يد فعلا وأنت تقصد معنى آخر يتمثل في الغرض من هذا الكلام وهو السرقة، فالكناية إذن تتمحور حول عدم التصريح بالمعنى المراد بصفة مباشرة فالغرض منها هو التستر.

(1)- ابن الأثير: المثل السائر، ص88.

(2)- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1408هـ - 1987هـ، مادة (كنى)، ص2477.

(3)-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص157.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

وتعرف الكناية أيضا بأنها:"لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي نحو زيد طويل النجاد تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم."[1] ويقصد هنا أنالكناية هي التعبير باللفظ مع ملازمة معنى اللفظ والإبقاء على قرينة لا تمنع من إيراد المعنى الأصلي، فقولك (زيد طويل النجاد) فإنك تقصد بذلك أنه شجاع عظيم إذ لابد من الإشارة إلى هذه الصفة فالكناية هنا هي:أن حامل السيف يلزم طول القامة كما يلزم من طول الجسم الشجاعة عادة.

وجاء في تعريف الرازي للكناية:"أن الكناية عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد معناها معنى ثانيا وهو المقصود."[2] وفي تعريف آخر للكناية:"من المعروف أن الكناية هي استخدام لفظ ويراد به لازم معناه الحقيقي لقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المراد."[3] ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا أن الكناية هي ذكر اللفظ والمراد به لازم معناه؛ أي المعنى الأصلي مع ترك قرينة دالة عليه غير مانعة عن إيراد المعنى الحقيقي مع المعنى المراد.

يجدر بنا الإشارة إلى أن عبد القاهر الجرجاني لم يتعرض للكناية في كتابه "أسرار البلاغة" الذي خص دراسته فيه بمباحث علم البيان، ذلك لأنه قد سبق في كتابه "دلائل الإعجاز" الذي تناول فيه علم المعاني أن درس الكناية ويقول فيها:"والمراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِْفُهُ في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه."[4]

يشير الجرجاني أن الكناية لا تكون بذكر اللفظ المراد به لذلك المعنى بل بذكر لفظ يرادفه في الوجود، فحسبه تكون الكناية بغرض الإشارة والايماء لتكون دالة على ذلك اللفظ.

على خلاف الجرجاني فقد درس السكاكي الكناية في القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" الذي خصصه –القسم الثالث– لدراسة أصول علم البيان ويعرفها بقوله:"هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك."[5] ويقصد بهذا إخفاء التصريح والتكنية عن ذكر الشيء بلازمة، فينتقل الذهن إلى تأويل المعنى الخفي.

(1)– محمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص287، 288.

(2)– فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1424هـ–2004م، ص162،161.

(3)– عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في البلاغة عند ضياع الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، 1986، ص174.

(4)– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، ص66.

(5)– السكاكي: مفتاح العلوم، ص402.

ويشير السكاكي إلى أن الكناية:"تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة."[1]إذن فغرض الكناية حسب السكاكي هو الإشارة والايماء والتعريض للمعنى الخفي الذي يصرح عنه بلفظ يرادفه في الوجود فهو إذا سار على درب الجرجاني في ذلك واتفق معه.

إن السكاكي يفرق بين المجاز والكناية من وجهين:

أولهما: أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها عكس المجاز الذي ينافي ذلك.

ثانيهما: أن الكناية تقوم على الانتقال من اللازم إلى الملزوم؛ أي الانتقال من المعنى الأصلي الذي تواضع عليه في اللغة إلى المعنى الملزوم؛ أي الخفي الذي يمثل الغرض الحقيقي من الكلام، أما المجاز فيكون عكس ذلك؛ أي بالانتقال من الملزوم إلى اللازم.[2]

إن كل الأساليب البلاغية التي قمنا بدراستها سابقا تصب في واد واحد وهو الألفاظ التي لا توضع لمعانيها، ويقول الجرجاني في هذا الصدد: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك."[3] ولهذا يتطلب من القارئ العادي والباحث في مجال المعرفةأن يكون عالما باللغة ومعاني الألفاظ وذا معرفةبأحوال الكلام والمتكلم وذلك من خلال الخلفية المعرفية والثقافية له لكي يتسنى له فهم المقاصد والأغراض البلاغية للكلام.

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص403.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص403.

(3)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص267.

المبحث الثاني: في الأقسام

1- **التشبيه**: من خلال دراستنا في مبحث الحدود يتضح لنا أن التشبيه هو مشاركة أمرين في صفة أو أكثر لإيصال المعنى المراد إلى السامع في أحسن صورة لتحقيق الغرض الذي يريده المتكلم، كما سبق ذكره آنفا، والمتعارف عليه أن أقسام التشبيه هي:[1]

- التشبيه البليغ: وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.
- التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.
- التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت منه الأداة.
- التشبيه المجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه.
- التشبيه المفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه.
- تشبيه التمثيل: وهو إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد.
- التشبيه المقلوب: هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.
- التشبيه الضمني: وهو التشبيه الذي لا يوضع فيه المشبه به فهي صورة التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب.

إن جوهر بحثنا يتمحور حول كيفية تقسيم كل من الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" والسكاكي في "مفتاح العلوم" اللذين تناول كل منهما علم البيان بمباحثه التي من ضمنها التشبيه، فقسمه الجرجاني على نحو يختلف عن غيره من العلماء، فقد تناول أقسام التشبيه وفق أسس ومعايير مختلفة؛ "إذ لم يكتف بالنظرة البلاغية للموضوع ولا التقسيم التقليدي المعروف، بل تجاوز ذلك كثيرا إلى ما هو أعمق، إذ نظر إليه نظرة نقدية."[2] وبهذا فالجرجاني خرج عن التقسيم المألوف حيث كانت نظرته نقدية عميقة.

اعتمد الجرجاني في تقسيمه للتشبيه على مبدأ الثنائيات المتقابلة، حيث سنفصّل فيها كما ذكرها على النحو التالي:

بدأ تقسيمه بالحديث عن ثنائية التشبيه البيّن والتشبيه الخفي وذلك بقوله: "اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأول."[3]فهو يقصد بهذا

(1)- ينظر: مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1985م، ص87، 88.

(2)- عطية أحمد أبو الهيجاء: التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معيارا نقديا، مجلة عالم الفكر، العدد1، المجلد 42، سبتمبر 2013، ص28.

(3)- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص69.

التشبيه البيّن الذي لا يوجد خلاف حوله. "والثاني: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول"[1] وهذا يمثل التشبيه الخفي الذي يحتاج إلى عملية التأويل بين طرفي التشبيه للإفصاح عن طبيعة العلاقة بينهما، وقد جعل له تفريعات تتعلق بتفاوت التأويل، فمنه السهل البسيط، ومنه السهل الممتنع، ومنه ما يحتاج إلى قدر كبير من الدقة والتفكير العميق.

ثم انتقل إلى ثنائية العام والخاص ويتعلق ذلك بعموم التشبيه وخصوصه، يقول في ذلك: "فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه."[2] فالتشبيه العام في نظره هو أن يكون واضحا حيث يأتي المشبه والمشبه به ظاهرا من خلال الأداة، فهذا النوع من التشبيه لا يحتاج فيه إلى تأويل، ففيه تكون علاقة التشابه بيّنة لتشارك المشبه والمشبه به في صفة جلية؛ لأن هذا النوع من التشبيه يسمح للمتلقي بأن يوفر الجهد والعناء في التأويل الذي يتبادر إلى ذهنه.

أما القسم الآخر وهو الخاص –التمثيل– فقد جعله الجرجاني جزءا من التشبيه أي القسم الأول ويتضح ذلك في قوله: "فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا."[3]

من بين الثنائيات التي تحدث عنها الجرجاني أيضا نجد ثنائية التشبيه المبتذل والتشبيه النادر أو المبتدع، فيقول في الأول: "وإذا كان هذا أمرا لا يشك فيه، بأن منه أن كل شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبدا، فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل."[4] من خلال ما يقول الجرجاني فإن سبب الابتذال في التشبيه أو كما قال التشبيه المبتذل يعود إلى وضوحه وبيانه للسامع فهو لا يحتاج منه إلى تفكير، ولا يحتاج إبداعا لشيوعه وكثرة استعماله على خلاف الطرف الثاني من هذه الثنائية والمتمثل في التشبيه المبتدع حيث أشاد به الجرجاني وأعطاه قدرا كبيرا من الاستحسان، يقول في ذلك: "وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب"[5]. وبهذا يجعل الجرجاني معيار البعد والغرابة في التشبيه أسبق وأولى في الاستعمال من معيار القرب والألفة؛ فالإبداع في التشبيه يكمن في مدى غرابته.

(1)– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص69.

(2)– المرجع نفسه، ص73.

(3)– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4)–المرجع نفسه، ص124.

(5)– المرجع نفسه، ص99.

الانقسام الآخر للتشبيه الذي أشار إليه الجرجاني هو التشبيه المشترك في الصفة ومقتضاها وتحدث عن هذه الثنائية من خلال قوله: "اعلم أن الذي أوجب أن يكون في التشبيه هذا الانقسام، أن الاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها، ومرة في حكم لها ومقتضى."[1]

فالتشبيه إذا إما يكون تشبيها مشتركا في الصفة كمشاركة الخد للورد في صفة الحمرة، فعنصر الحمرة يوجد في كلا طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) مع اختلاف في درجته فقط، وهذا الاشتراك بين الشيئين يصل درجة أن: يتوهم السامع أن أحدهما هو الآخر حيث يقول الجرجاني في هذا: "وإذا تأملنا متصرف تركيبه، وجدناه يقتضي أن يكون الشيئان من الاتفاق والاشتراك في الوصف، بحيث يجوز أن يتوهم أن أحدهما الآخر."[2]

وإما أن يكون تشبيها مشتركا في الصفة ومقتضاها وفي ذلك يقول الجرجاني: "ومعلوم أن الاشتراك في نفس الصفة، أسبق في التصور من الاشتراك في مقتضى الصفة كما أن الصفة نفسها مقدمة في الوهم على مقتضاها، فالحلاوة أولا، ثم إنها تقتضي اللذة في نفس الذائق لها."[3] فالعسل يشارك اللفظ في الحلاوة وهو من غير جنسه بل يشاركه في أمر يقتضيه وهو اللذة، فعند وقوع لفظ عند السامع يطرح نفسه شعور اللذة عند التذوق يحدث الاشتراك بين حلاوة اللفظ وحلاوة العسل فالعامل المشترك بينهما ليس الجنس وإنما الحكم الذي يقتضيانه ومدى تأثر السامع به، فالكلام الحلو يضفي على نفس السامع لذة تشبه طعم الحلاوة للعسل.

هناك نوع آخر من أنواع التشبيه التي تطرق لها عبد القاهر وهو يمثل ثنائية التشبيه الصريح والتشبيه المقلوب.

يورد الجرجاني القسم الأول من هذه الثنائية في قوله: "وهي التي يكون كل واحد من المشبه والمشبه به مذكورا فيه، نحو: "زيد أسد" و "وجدته أسدا"، هل تساوق صريح التشبيه حتى يجوز في كل شيئين قصد تشبيه أحدهما بالآخر أن تحذف الكاف ونحوها من الثاني، وتجعله خبرا عن الأول، أو بمنزلة الخبر."[4]

هذا النوع من التشبيه–التشبيه الصريح– يستوجب ذكر المشبه والمشبه به وهو ما يعرف بالتشبيه المباشر أو التشبيه المعروف لدى الجميع ويدعم الجرجاني هذه الفكرة بقوله: "ألا ترى أن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعدين في الجنس، ثم لطف وحسن، لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن إلا لاتفاق كان ثابتا بين المشبه والمشبه به من الجهة التي بها شبهت."[5]

(1)– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص75.

(2)– المرجع نفسه، ص86.

(3)– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4)- المرجع نفسه، ص179.

(5)- المرجع نفسه، ص116.

أما الجزء الثاني من هذه الثنائية وهو التشبيه المقلوب ويكون يعكس التشبيهات الصريحة "وذلك جعل الفرع أصلا والأصل فرعا، وهو إذا استقريت التشبيهات الصريحة وجدته يكثر فيها"[1] وبهذا يكون التشبيه الصريح محطة الانطلاق وذلك بإحلال أحد طرفيه محل الآخر، وأعطى الجرجاني الطريقة التي ينتقل بها التشبيه الصريح إلى تشبيه معكوس أو مقلوب وهي: "أنهم يشبهون الشيء فيها بالشيء في حال. ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالأول، فترى الشيء مشبها مرة، ومشبها به أخرى"[2] فالتشبيه المعكوس يكون بتشبيه الشيء بآخر، تارة يكون الشيء مشبها وتارة أخرى مشبها به، كأن تقول في النجوم "كأنها مصابيح" ثم تقول مرةأخرى "كأنها نجوم."

الثنائية الأخيرة التي جاء بها عبد القاهر في تقسيمه للتشبيه هي ثنائية التشبيه المركب أو التشبيه التفصيلي وهو يقدم القسم الأول من هذه الثنائية على القسم الثاني فيقول في ذلك: "إنا نعلم أن الجملة أبدا أسبق إلى النفوس من التفصيل، وأنت تجد الرؤية نفسها لاتصل بالبديهة إلى التفصيل، لكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر"[3] فالتشبيه حسبه ينتقل من المجمل إلى المفصل فالنظرة الأولى فيه تكون مجملة ثم تأتي النظرة الثانية لمعرفة التفصيل من خلال التأمل والتدقيق كما هو الحال عند استعمال الحواس،فعند إعادة السماع يتبيّن ما لم تسمعه في المرة الأولى.

ويقول الجرجاني في التفصيل: ""التفصيل" عبارة جامعة، ومحصولها على الجملة أن معك وصفين أو أوصافا، فأنت تنظر فيها واحدا واحدا، وتفصل بالتأمل بعضها من بعض وأنّ بك في الجملة حاجةإلىأن تنظر في أكثر من شيء واحد وأن تنظر في الشيء الواحد إلىأكثر من وجهة واحدة."[4]

وهذا إشارة إلى القيمة الفنية والجمالية التي يتطلبها هذا النوع من التشبيه، فالحكم في التشبيه المفصل دقيق؛ إذ لا يكون بالتسرع بل يكون بحسن التذوق والروية والتأمل العميق في كل وصف واحد فالواحد فيه من كل جوانبه.

فرّق الجرجاني بين التشبيه المركب والتشبيه المتعدد وذلك بقوله: "أن يكون الكلام معقودا على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة، إلا أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه."[5]

ويقصد بهذا أن تشبيه شيئين بشيئين في آن واحد يشترط فيه عدم حدوث تداخل أحدهما مع الآخر في الشبه.

---

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص150.

(2)-المرجع نفسه، ص151.

(3)- المرجع نفسه، ص120.

(4)- المرجع نفسه، ص124.

(5)- المرجع نفسه، ص142.

بنى السكاكي دراسة معمقة للتشبيه حيث قام بوضع أقسامه وموضوعاته"متأثرا بكلام الفلاسفة والمتكلمين في صور الإدراك"[1]، ويتناول مباحث التشبيه وفق أربع موضوعات: هي طرفاه ووجهه والغرض منه وأحواله في القرب والغرابة والقبول والرفض. واستهل الحديث عن طرفيه وهما المشبه والمشبه به ويقول بأنهما إما أن يكونا مستندين إلى الحس وإما يستند إلى الخيال وضرب لكل منهما مثلا فالأول مثل له بتشبيه الخد بالورد والثاني كتشبيه شقائق النعمان على أغصانها بأعلام ياقوت منتشرة على رماح من الزبرجد، وإما أن يدركا بالعقل كتشبيه العلم بالحياة، وهناك احتمالان أن يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا. وإما أن يدركا بالوهم كتقديرين لصورة وهمية وحظة للموت وشبهناها بالمخلب، وإما أن يكون الإدراك بالوجدان كاللذة والألم.[2]كما هو ظاهر فإن السكاكي قد فرع واستحدث تفصيلا مطولا في حديثه عن طرفي التشبيه.

وتتفرع أقسام وجه التشبيه عند السكاكي وفق المخطط التالي، كما فصل ذلك محقق المفتاح في الهامش:

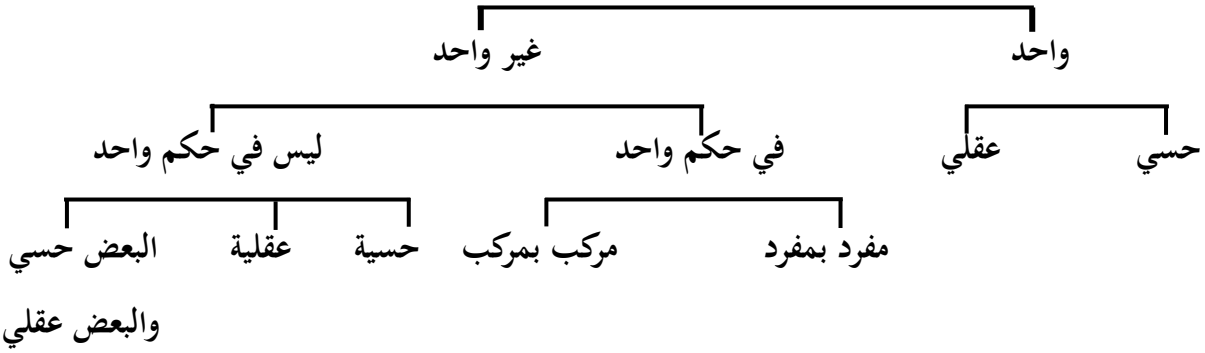

إن وجه التشبيه إما أن يكون واحدا أو غير واحد والواحد يتفرع إلى حسي وعقلي، فالحسي يكون طرفاه حسيين، أما العقلي فيكون في كل الصور كأن يكون طرفاه حسيين كتشبيه الشجاع بالأسد في الجرأة وقد يكون طرفاه عقليين كتشبيه الجهل بالموت في عدم النفع. وقد يكون أحدهما حسيا والآخر عقليا كتشبيه العلم بالنور.

وإذا كان وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم واحد يكون على قسمين: تشبيه مفرد بمفرد وهو ما سبق ذكره، والثاني تشبيه مركب بمركب كتشبيه الثريا بعنقود الكرم في هيئتها من خلال مقارنة الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص.

(1)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص302.

(2)- ينظر: السكاكي مفتاح العلوم، ص332،333.

أما وجه التشبيه في غير الواحد وليس في حكم الواحد فهو على ثلاثة أقسام: فالأول حسي كتشبيه فاكهه بأخرى والثاني عقلي كتشبيه بعض الطيور بالغراب في حدة النظر والحذر وشدة اليقظة، أما القسم الأخير فيكون بعضه حسيا وبعضه عقليا كتشبيه الإنسان بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن وعلو الرتبة.[1]

إن أغراض التشبيه عند السكاكي تعود غالبا إلى المشبه ثم المشبه به أو إلى تساوي طرفي التشبيه أو التشبيه التمثيلي.

- فالغرض العائد إلى المشبه يقسمه إلى بيان الحال، وبيان مقدار الحال، وبيان إمكان وجوده وإما يكون لتقوية شأنه في نفوس السامعين وإما للتزيين أو التشويه أو الاستطراف.
- والغرض العائد إلى المشبه به مرجعه إيهام كونه أتم من المشبه في وجه التشبيه،[2] ويقول شوقي ضيف في هذا أن السكاكي: "يستضئ بما كتبه الفخر الرازي"[3] وفي هذا إشارة إلى أن السكاكي قد اتبع خطى سابقيه في وضع هذه التقسيمات إلا أنه كان أدق في تفصيله فقد أكثر من التقسيمات والتفريعات.

وقد وقف السكاكي عند تساوي طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) ويقول في ذلك: "فالأحسن ترك التشبيه إلى التشابه، ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به، تفاديا من ترجيح أحد المتساويين."[4] فالسكاكي يجعل المشبه والمشبه به في كفة واحدة أي أنهما متساويان ليكون كل واحد منهما مشبها ومشبها به.

كما يعطي رأيه في التشبيه التمثيلي ويقول فيه: "إن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور، خصّ باسم التمثيل"[5]

أما أحوال التشبيه فيقسمها السكاكي إلى قريب أو غريب، ومقبول أو مردود، وقبل ذلك يذكر أن "إدراك الشيء مجملا أسهل من إدراكه مفصلا"[6] وهذا نفسه ما ذهب إليه الجرجاني عند حديثه عن التشبيه الإجمالي والتشبيه المفصل كما سبق وذكرنا.

وبعد ذلك يقوم بتعديد أسباب قرب التشبيه وهي ثلاثة: أن يكون وجهه أمرا واحدا، تناسب المشبه به مع المشبه، غلبة حضور المشبه به في الصور بجهة من الجهات.

أما أسباب بعد التشبيه وغرابته فيجعلها خمسه أسباب: أولها كثرة الأمور في وجه التشبيه، ثانيا بعد التشابه بين المشبه والمشبه به، ثم ندرة حضور المشبه به في الذهن لكونه وهميا، وأن يكون مركبا خياليا، وأخيرا أن يكون

(1)- ينظر:السكاكي مفتاح العلوم، ص334،338.
(2)- ينظر:المرجع نفسه، ص341-ص344..
(3)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص303.
(4)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 346.
(5)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(6)- المرجع نفسه، ص350.

مركبا عقليا. أما التشبيه المقبول فيشترط أن يكون الشبه صحيحا، وذكر فيه ثلاثة أمثلة: كمثال أن يكون المشبه به محسوسا أو أتم محسوس في أمر حسي، أو يكون المشبه به في التشبيه الاستطرافي نادر الحضور في الذهن لبعد التصور. أما رد التشبيه سيكون حسب قبوله وغرابته فالتشبيه يرد لرداءته.[1]

هناك بعض الدارسين الذين انتقدوا تقسيم السكاكي حيث أشاروا إلى أنه أسرف في تفصيله وتفريعه لمبحث التشبيه من بينهم شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ" إذ يقول فيه: "السكاكي أفسد مبحث التشبيه بما وضع فيه من هذه الأقسام الكثيرة التي تحولت به إلى مجموعة كبيرة من الأرقام، وهي أرقام لا تفيد شيئا في تربية الذوق إلا ضروبا من التعقيد والتصعيب."[2]إذن فتقسيم السكاكي فيه نوع من التعقيد والصعوبة التي تستلزم من الباحث اللجوء إلى الفهم ومن ثم أسلوب التبسيط من أجل التمكن من استيعاب كل هذه التقسيمات، أما الجرجاني فكان منهجه في التقسيم أبسط وذلك وفق ثنائيات منطقية في تقابلها، وهذا ما يساعد الباحث على احتواء هذه التقسيمات، وهذا ما جعل شوقي ضيف يفضل تقسيم عبد القاهر على تقسيم السكاكي ويقول في ذلك: "وكان حريًّا به أن يقتدي بعبد القاهر في تحليلاته البارعة للتشبيهات المختلفة دون محاولة هذا الحصر العقلي الدقيق،وكأنما لم تعد المسألة عنده محاولة تفهم أساليب التشبيه والوقوف على قيمها البلاغية، بل أصبحت مسألة وضع القواعد والاصطلاحات والتقسيمات."[3]

وفي هذا إشادة بأسلوب عبد القاهر البسيط والواضح، وتأكيد على أن السكاكي مال في تقسيمه لأساليب التشبيه إلى اتباع منهج عقلي مجرد، يقوم على وضع القواعد والقوانين والاصطلاحات والتفريعات مع التنظير لها أكثر من اهتمامه ببلاغتها.

يوجد ثلاث وجهات نظر فوجهة نظر الجرجاني تجلت من خلال استعماله الأسلوب الواضح البسيط الذي تمكن فيه من إبراز قدرته الفنية، الجمالية والذوقية، وتحليلاته البارعة والتي أشبع من خلالها أيضا للقارئ القدرة على الفهم، فهو تجرد من الحصر العقلي والدقيق الذي يمثل وجهة نظر السكاكي وأسلوبه الشيق والمتميز في فن التقسيم والتبويب والتفريع، الذي كان يحاول من خلاله الخروج عن دائرة الذوق والقيمة الفنية إلى التجريد من خلال المنطق والعقل الذي بواسطته استطاع أن يخرج بقوانين وقواعد البلاغة العربية، أما وجهة النظر السليمة فهي أن الجرجاني أسبق من السكاكي، فقد استفاد السكاكي بما جاء به الجرجاني ليخرج بما آل إليه الدرس البلاغي الحالي، ورأينا أنهما عالمان كبيران مكملان لبعضهما، كل بأسلوبه الخاص والمتميز، فبفضلهما استطعنا تذوق روعة البلاغة وقواعدها وقوانينها.

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، من ص351،353.

(2)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص302، 303.

(3)- المرجع نفسه، ص303.

2- الاستعارة

حظيت الاستعارة باهتمام البلاغيين لما فيها من براعة وفن في التصوير والتخييل، وهي كما سبق وأشرنا تعتمد على التشبيه إلا أنها أبلغ منه، فهي تعني نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر بوجود قرينة تدل عليه.

تعددت تقسيمات الاستعارة من قبل علماء البيان، إلا أن التقسيم المتداول والمتعارف عليه للاستعارة يقوم على أساس حذف أو ذكر أحد طرفيها، وحسب هذا المعيار فإنها تنقسم إلى:[1] تصريحية ومكنية؛

- فالتصريحية: هي ما ذكر لفظ المشبه به وصرح به.
- المكنية: هي ما يحذف فيها المشبه به أو المستعار منه.

تناول الجرجاني الاستعارة في كتابه "أسرار البلاغة" حيث قسمها وفق اعتبارات مختلفة وهي:

- باعتبار الفائدة.
- باعتبار الاسمية والفعلية.
- باعتبار الطرفين والجامع.

ونبدأ أولا بتقسيمه لها حسب معيار الفائدة فهو يجعلها استعارة مفيدة وغير مفيدة؛ فيبدأ الحديث عن الاستعارة غير المفيدة، ويقول: "وأنا أبدأ بذكر غير المفيد، فإنه قصير الباع، قليل الاتساع، ثم أتكلم على المفيد الذي هو المقصود."[2]

ويمثل لهذا القسم من الاستعارة باستعمال الشفة للفرس وهي موضوعة للإنسان، وهي استعارة لا تفيد شيئا، أما الاستعارة المفيدة فيقول فيها: "وأمّا"المفيد" فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك."[3]ومثل لها بتشبيه الإنسان بالأسد في الشجاعة حيث نقول: رأيت أسدا أي رأيت رجلا شجاعا فهو يقصد بهذه الاستعارة (رأيت أسدا) حصول الفائدة وهي المبالغة في وصف الرجل بشجاعة الأسد حيث يمكن للسامع تصور وتخيل الأسد في قوته وشدته وشكله المهيب، وهذا كله يحتاج إلى الجرأة.

أما التقسيم الثاني الذي جاء به الجرجاني فهو الاستعارة في الاسم والاستعارة في الفعل، يقول في ذلك: "اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة، فإنها لا تخلو من أن تكون اسما أو فعلا."[4] وبهذا فهو يقسم

(1)- ينظر: عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص176.

(2)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص32.

(3)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4)- المرجع نفسه، ص40.

الاستعارة المفيدة إلى قسمين: أن تكون اسما، أو أن تكون فعلا؛ أما القسم الأول وهي ما كانت اسما فالمستعار يكون على قسمين: "أحدهما أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه، وتجعله متناولا له تناول الصفة مثلا للموصوف."[1] وذلك يعني نقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى ما يقابله كقولنا رأيت أسدا فالأسد يقابل الرجل على سبيل الإعارة والمبالغة في التشبيه.

وثانيهما: "أن يؤخذ الاسم على حقيقته، ويوضع موضعا لا يبين فيه شيء يشار إليه."[2] وفي هذا القسم لا يوجد مقابل للمستعار ومثل الجرجاني لذلك بقول لبيد:[3]

وغداة ريح قد كشفت وقرة. إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فهو هنا يجعل للشمال يدا، فالمعنى ليس أنه شبه شيئا باليد، بل المعنى أنه أراد أن يثبت أن للشمال يدا، فالمشبه به غير معروف، بل يعرف بما يضاف إلى المشبه، فوجه الشبه في القسم الأول يوجد في المشبه على خلاف القسم الثاني فلا وجه شبه فيه وإنما يكتسب المشبه ذلك الوصف كما في المثال السابق تجعل للشمال يدا.

أما البلاغيون من بعد عبد القاهر فيسمونها "إما تصريحية وإما مكنية، والأولى هي التي ينقل فيها الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر، وكأنك تدل به على صفة لموصوف...، والثانية لا ينقل فيها اسم عن مسماه الأصلي، وإنما تثبت لشيء لازمه لشيء اخر."[4] كان الجرجاني سباقا للحديث عن هذين القسمين لكن لم يطلق عليهما هذا الاصطلاح أي الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية.

أما الاستعارة في الفعل فهي تمثل القسم الثاني ويبينها الإمام في قوله: "وإذ قد تقرر أمر الاسم في كون استعارته على هذين القسمين، فمن حقنا أن ننظر في "الفعل" هل يحتمل هذا الانقسام. والذي يجب العمل عليه أن الفعل لا يتصور فيه أن يتناول ذات شيء، كما يتصور في الاسم، ولكن شأن الفعل أن يثبت المعنى الذي اشتق منه للشيء في الزمان الذي تدل صيغته عليه."[5]

ويقصد عبد القاهر بهذا أن تقسيم الاسم في استعارة يختلف عن تقسيمه في الفعل، فالاسم يدل على ذات أما الفعل فدلالته تكون على زمن أو حدث، ومثال ذلك أن تقول: نطقت الحال بكذا، وهنا استعملنا الفعل "نطق" فيما ليس له في الأصل فبذلك يثبت باستعاراته له وصف يشبه المعنى الذي اشتق منه.

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 40.

(2)- المرجع نفسه، ص41.

(3)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص194.

(5)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص44، 45.

ويشير عبد القاهر أن الاستعارة في الفعل قد تأتي مرة من جهة فاعله كما في المثال السابق ويكون كذلك من جهة مفعوله وعليه يقول:"ومما تجب مراعاته أن الفعل يكون استعارة مرة من جهة فاعله الذي رفع به، ومثاله ما مضى ويكون أخرى استعارة من جهة مفعوله."[1]

وفي هذا الشأن يقول شوقي ضيف:"كان حريا بعبد القاهر ألا يجعل في الأفعال استعارة، لأنها لا تجري فيها إلا إذا كانت لوازم المشبه به وأضيفت إلى مشبه، أو بعبارة أخرى إلا إذا كان في الكلام استعارة مكنية."[2] فرأي شوقي ضيف هنا جاء مخالفا لرؤية عبد القاهر الجرجاني فهو يرى أنه كان من الأفضل لو خص الاستعارة بالاسم دون الفعل، لأن الاستعارة في الفعل لا تكون إلا إذا كان في الكلام استعارة مكنية.

والتقسيم الأخير لعبد القاهر للاستعارة هو تقسيم باعتبار الجامع والطرفين ويقول في ذلك:"وأنا أريد أن أدرجها من الضعف إلى القوة، وأبدأ في تنزيلها بالأدنى، ثم بما يزيد في الارتفاع، لأن التقسيم إذا أريغ في خارج من الأصل، فالواجب أن يبدأ بما كان أقل خروجا منه، وأدنى مدى في مفارقته."[3]

فالجرجاني يجعل وجه الشبه هو أساس مفاضلة في الاستعارة من حيث القوة والضعف إذ وضع ضروب الاستعارة حسب هذا المعيار في ثلاثة أقسام: أولهما:"أن يرى معنى الكلمة المستعارة موجودا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة."[4] وفي هذا الضرب يكون الجامع –وجه الشبه– موجودا في معنى المستعار والمستعار له من حيث عموم جنسه وحقيقتهما ففيه يجب مراعاة مرتبة الأفضلية إذا كان هناك نقص وقوة وضعف في ذلك الجنس، فيجب دائما استعارة الأفضل.

أما الضرب الثاني فهو متداخل مع الأول "وذلك أن يكون الشبه مأخوذا من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له والمستعار منه على الحقيقة."[5]

فهذا الضرب مشابه للأول في اشتراك الصفة بين المستعار له والمستعار منه ويخالف الأول في كون الجنسين مختلفين وقد مثل ذلك بقوله "رأيت شمسا."[6]

فهو يشبه وجه الإنسان بالشمس في شكلها وتوهجها، فوجه الإنسان والشمس ليسا من نفس الجنس، لكنهما يشتركان في صفة النور والضياء كقولنا للإنسان وجهك مشرق وأشرقت الشمس.

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص46.

(2)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص195.

(3)-الجرجاني: أسرار البلاغة، ص47.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5)-المرجع نفسه، ص52.

(6)-المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

وأما الضرب الأخير فهو:"أن يكون الشبه مأخوذا من الصور العقلية."[1] فعبد القاهر يرى بأن هذا الضرب هو الصميم واللب الخالص للاستعارة لشدة بلاغته وبراعة العقل وقدرته على التخيل والتصور الذي يعطي الاستعارة جمالا ورونقا خاصا، وفي ذلك يقول:"واعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها، وها هنا تخلص لطيفة روحانية، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية، والعقول النافذة، والطباع السليمة، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة، وتعرف فصل الخطاب."[2] وهذه الاستعارة لا يتمكن منها إلا أصحاب الحكمة والعارفين بفنون الخطاب والعقول الراقية، وبدوره قسم هذا الضرب إلى ثلاثة أصول:"أحدها:أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة والمدركة بالحواس على الجملة للمعاني المعقولة.والثاني: أن يأخذ الشبه من الأشياء المحسوسة لمثلها، إلاأن الشبه مع ذلك عقلي. والأصل الثالث:أن يأخذ الشبه من المعقول للمعقول."[3]

فمثال الأول كاستعارة النور للبيان والحجة وفي هذا انتقال من المحسوس إلى المعقول فالنور يدرك بالحواس أما البيان والحجة فيكون إدراك عقلي.أما مثال الأصل الثاني في الأسرار هو:"قول النبي صلى الله عليه وسلم:"إياكم وخضراء الدمن"[4] فيشبه المرأة بالنبات وفي هذا انتقال من المحسوس إلى المحسوس لكن الشبه عقلي فهو لم يقصد في تشبيههما لون النبات وخضرته من حيث شكله ولا مذاقه ورائحته ولا المرأة في حسنها وجمالها إنما يقصد منبتها وباطنها الذي قد يخفي السوء.

وأما مثال الأصل الثالث وهو:"أخذ الشبه من المعقول للمعقول"[5] فبدأه بحديثه عن استعارة الوجود للعدم والعدم للوجود وخلافهما يكون بوجهين أحدهما أن يكون "موضوع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة، وإن كانت موجودة، لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها."[6]كتشبيه الوجود بالعدم ومثال ذلك تشبيه الجاهل بالميت.

أما الطريق الثاني في تشبيه المعقول بالمعقول "أن لا يكون على تنزيل الوجود منزلة العدم، ولكن على اعتبار صفة معقولة يتصور وجودها مع ضد ما استعرت اسمه."[7]ومثال ذلك تشبيه شيء تكرهه في نفسك بالموت فتقول لقيت الموت.

(1)-الجرجاني: أسرار البلاغة، ص54.
(2)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3)- المرجع نفسه، ص54، 55.
(4)- المرجع نفسه، ص50.
(5)- المرجع نفسه، ص59.
(6)- المرجع نفسه، ص60.
(7)- المرجع نفسه، ص63.

كما قسم الجرجاني الاستعارة وعلى خطاه قسمها أيضا السكاكي وفصل وفرع فيها كما يلي:[1]

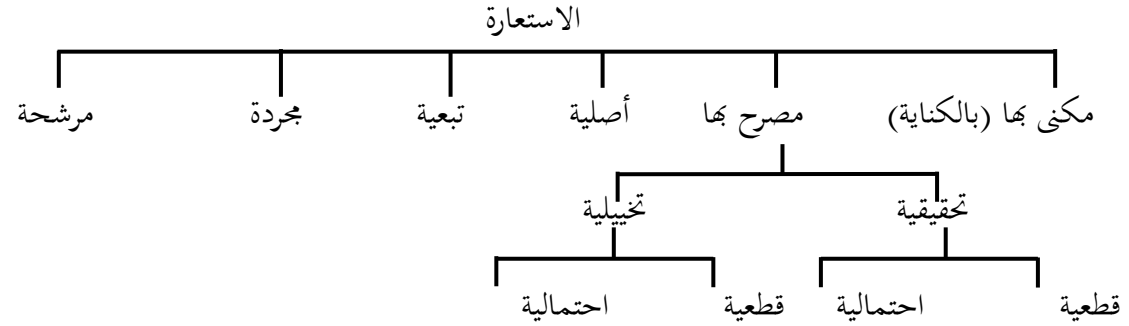

من خلال هذا المخطط يتضح لنا أن تقسيم الاستعارة متفرع إلى عدة تقسيمات وهي كالآتي:

- استعارة مكنى عنها: وهي "أن يكون الطرف المذكور هو المشبه."[2]
- استعارة مصرح بها: "هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه، هو المشبه به."[3]وهذا القسم قام السكاكي بتقسيمه إلى تحقيقية وتخييلية، والتحقيقية إلى قطعية واحتمالية، وكذلك التخييلية قسمها أيضا إلى قطعيه واحتمالية وينتج عن هذا التقسيم عدة تقسيمات ذكرها السكاكي كلها مع تقسيم الاستعارة كالتالي:
- استعارة مصرح بها تحقيقية قطعية وهي أول قسم تحدث عنه السكاكي ومثل له بـ "رأيت أسدا". وهذا يعني أن تلحق قوة وشجاعة وجرأة شخص ما بالأسدية، وذلك بإطلاق اسم الأسد عليه منفردا في ذكره، حتى تعد جرأته وقوته من جرأة الأسد وشجاعته وليس دون ذلك، مع وجود قرينة تمنع إيراد المعنى الأصلي.[4]
- استعارة مصرح بها تخييلية مع القطع وهو القسم الثاني ويقول فيه: "هي أن تسمى باسم صورة متحققة، صورة عندك وهميه محضة، تقدرها مشابهة لها، مفردا في الذكر، في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا."[5] وهذا يعني أن تسمي الصورة الذهنية الوهمية الموجودة عندك باسم صورة حقيقية وذلك مثل تشبيه المنية بالسبع في أخذ الأرواح وهذا يشبه ما جاء به الجرجاني في حديثه عن إنزال العدم منزلة الوجود،والوجود منزلة العدم، لكن السكاكي وضعها في صورة معقدة مقارنة مع ما جاء به الجرجاني، ويقول في هذا شوقي ضيف: "ولا شك أن هذا كله تعقيد، وكان حسبه أن يكتفي بما قاله عبد القاهر من أن المكنية لا يصرح فيها بذكر المستعار، بل يذكر رديفه ولازمه الدال عليه."[6]

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص373.

(2)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(3)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص374، 375.

(5)- المرجع نفسه، ص376.

(6)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص307.

– القسم الثالث وهو الاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل وتكون بحمل المشبه المصرح به على ما تتحقق من وجه، وعلى ما لا تحقق من وجه آخر.[1]

– القسم الرابع وهي الاستعارة بالكناية وقد سبق وقلنا بأنها تقوم على ذكر المشبه.

– خامسا الاستعارة الأصلية وحسب السكاكي يشترط فيها أن يكون المستعار اسم جنس، مثل رجل وأسد، وهي أصلية لوجود علاقة مشابهة بين المستعار له والمستعار منه.[2]

– سادسا الاستعارة التبعية وهي عكس الاستعارة الأصلية فهي: "ما تقع في غير أسماء الأجناس، كالأفعال، والصفات المشتقة منها، وكالحروف."[3]

وجمع السكاكي القسمين الأخرين معا وهما الاستعارة المجردة والاستعارة المرشحة، فالمجردة تكون بإضافة صفات مناسبة للمستعار له، أو تفريع كلام ملائم له، أما المرشحة فتكون بإضافة صفات أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه[4].

وهذا إذن كان تقسيم السكاكي للاستعارة الذي يختلف عما جاء به عبد القاهر في الأسرار عند تقسيمه للاستعارة، فالسكاكي أكثر من التفريع وهذا أعطى طابعا من التعقيد والصعوبة كما سبق وأشارنا فقد استفاد السكاكي من تقسيم السابقين لها كالرازي والزمخشري، لكن أضاف بعض الإضافات كما في الاستعارة التبعية فقد "وقف عبد القاهر والفخر الرازي عند الأفعال والصفات"[5] أما السكاكي "فقد مدها على هدي الزمخشري إلى الحروف."[6] إذن فقد جمع السكاكي آراء سابقيه ولخصها بدقة وتمعن وذلك بأسلوبه المتميز والفريد في التفريع والتفصيل والتبويب.

3– المجاز

كما سبق وأشرنا في مبحث الحدود فإن المجاز في جوهره يقوم على استعمال اللفظ في غير ما وضع له، حيث قسمه البلاغيون كل بطريقته، إلا أن التقسيم المتعارف عليه والأكثر استعمالا هو ما قسم فيه المجاز إلى قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي.

(1)– ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص377.

(2)– ينظر: المرجع نفسه، ص380.

(3)– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4)– ينظر: المرجع نفسه، ص385.

(5)– شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص308.

(6)– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

المجاز اللغوي: "هو استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة."[1]

والمجاز العقلي: "وهو المجاز الذي يكون فيه الاسناد بين مسند ومسند إليه. والتجوز في هذا القسم يكون في الفكر بإسناد معنى من المعاني مدلول عليه بحقيقة أو مجاز غير الموصوف به في اعتقاد المتكلم كملابسة ما تصحح في الذهن هذا الإسناد تجوزا، بشرط وجود قرينة صارفة عن إرادة كون الإسناد على وجه الحقيقة"[2]

الجرجاني من الأوائل الذين اعتمدوا هذا التقسيم وقد قام بتوضيح ذلك في كتابه "أسرار البلاغة" حيث خصص له فصلا سماه في تقسيم المجاز اللغوي والعقلي، واللغوي إلى الاستعارة وغيرها ويقول في ذلك: "واعلم أن "المجاز" على ضربين: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى والمعقول. فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: "اليد مجاز في النعمة" و "الأسد مجاز في الإنسان وكل ما ليس بالسبع المعروف"، كان حكما أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة."[3]

فالجرجاني يقسم المجاز إلى قسمين مجاز لغوي ومجاز عقلي والمجاز اللغوي يكون في الكلمة المفردة لوجود صلة أو ملابسة بين الكلمة في أصلها الموضوع لها والمعنى الذي نقلت إليه.

أما المجاز العقلي فيقول فيه: "ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام، كان مجازا من طريق المعقول دون اللغة."[4] إذا فالمجاز العقلي يقوم على الإسناد في الجمل فهو مجاز مركب.

ويفرق الجرجاني بين المجاز العقلي واللغوي من خلال قوله: "إن قال قائل في أصل الكلام الذي وضعته على أن المجاز يقع تارة في الإثبات، وتارة في المثبت، وأنه إذا وقع في الإثبات فهو طالع عليك من جهة العقل، وباد لك من أفق هو إذا عرض في المثبت فهو آتيك من ناحية اللغة."[5] فهنا يقصد بهذا القول تقسيم المجاز إلى عقلي ومجاز لغوي، فالعقلي يكون في الإثبات أي العلاقة الإسنادية، أما اللغوي فيكون في المثبت أي ما هو لغوي.

تحدث السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" عن تقسيم السابقين له للمجاز الذين جعلوه في قسمين وعليه فهو يقول: "اعلم أن المجاز عند السلف من علماء هذا الفن قسمان: لغوي، وهو ما تقدم ويسمى مجازا في المفرد،

(1)- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني-علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ-2007م، ص170

(2)- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، دار الشاملة، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م، ج2، ص222.

(3)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص286.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5)-المرجع نفسه، ص264.

وعقلي، وسيأتيك تعريفه ويسمى مجازا في الجملة."[1] فالبلاغيون القدماء جعلوا المجاز قسمين هما: المجاز اللغوي ويكون في المفرد والقسم الثاني المجاز العقلي ويكون في الجملة. وينقسم المجاز اللغوي إلى: "قسم يرجع إلى معنى الكلمة، وقسم يرجع إلى حكم لها في الكلام."[2] والقسم الأول بدوره يقسمونه إلى مفيد وغير مفيد وهذا الأخير "هو أن تكون الكلمة موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد، فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة"[3] وقد مثل له باستخدام المشفر الذي هو موضوع لشفة البعير مع ترك قرينة دالة على أن المقصود من ذلك هو شفة الإنسان، وهذا نفس ما ذهب إليه الجرجاني عند حديثه عن الاستعارة غير المفيدة كما ذكرنا سابقا.

أما المجاز اللغوي الراجع إلى المعنى المفيد إما أن يكون خالي من المبالغة في التشبيه ويكون ذلك بتعدية الكلمة عن أصلها لغيره بوجود قرينة مساعدة، لملاحظة بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه كقولنا: يد فلان طويلة؛ أي أننا نقصد باليد القوة والقدرة لأن اليد أكثر ما يظهر بها سلطان القوة وبها تكون وصلت إلى المقصود الذي يتجسد في مقدرة هذا الشخص على البطش، الضرب، الأخذ، الدفع ...الخ.[4]

وأما ما يكون متضمنا المبالغة في التشبيه فيسمى استعارة ولها تقسيمات عدة سبق وتطرقنا لها عند حديثنا عن أقسام الاستعارة عند السكاكي.

ويقول شوقي ضيف حول هذه التقسيمات: "واضح أنه كان يكفيه أن يقول إن المجاز ينقسم إلى خمسة أقسام، ولكنه يريد إظهار مهارته في التقسيم والتفريع والتشعيب"[5]، فشوقي ضيف يفضل لو أعطى السكاكي تقسيما مباشرا للمجاز دون استعراض مهارته في فن التقسيم والتفريع.

أما القسم الثاني من المجاز اللغوي فهو المجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام، ويقول السكاكي أن السلف يعرفونه: "أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصلي، إلى غيره."[6] يقصد بهذا أن ينقل حكم الكلمة عن أصله إلى غيره ومثل لذلك بقوله تعالى: "واسأل القريةَ"[7] وأصلها "واسأل أهلَ القريةِ" فحكم القرية الأصلي هو الجر وقد انتقلت إلى حكم النصب بالمجاز، وهذا أيضا ما جاء به الجرجاني في "الأسرار" عند حديثه عن مجاز الزيادة والحذف.

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص362.
(2)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3)- المرجع نفسه، ص364
(4)- ينظر: المرجع نفسه، 365.
(5)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص306.
(6)-السكاكي: مفتاح العلوم، ص392.
(7)- سورة يوسف، الآية82.

إلا أن السكاكي يعد هذا القسم تابعا للمجاز وملحقا به وذلك لـ "اشتراكهما في التعدي عن الأصل إلى غير أصل، لا أن يعد مجازا."[1]

والقسم الثاني من المجاز والمتمثل في المجاز العقلي فيقول فيه السكاكي: "هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه، لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بواسطة وضع."[2]ويقصد بهذا أن كلام المتكلم يحتاج إلى تأويل عقلي لأنه كلام يخالف ما هو موجود في الواقع. مثل قولنا بنى الوزير المدرسة، ففي قولك هذا خلاف لما عند المتكلم من الحكم فيه، وهو ليس خلاف لما هو عقلي، بل يحتاج إلى تأويل فقط، وقوله (إفادة للخلاف لا بواسطة وضع) حتى يدخل هذا المجاز ضمن المجاز اللغوي، فالوضع يقصد به وضع اللغة وهذا يعد من وجوه استعمال المجاز التي وضعها السلف حسب ما جاء به السكاكي.

وهذا كان تقسيم السلف الذي أورده السكاكي في المفتاح أما رأيه وتقسيمه للمجاز فيختلف عنهم فيقول في ذلك: "وأنني، بناء على قولي هذا ههنا، وقولي في فصل الاستعارة التبعية، وقولي في المجاز الراجع عند الأصحاب إلى حكم للكلمة على ما سبق، أجعل المجاز كله لغويا."[3] بقوله هذا فالسكاكي يلغي المجاز العقلي ويجعل المجاز كله لغويا حيث يرد صور المجاز العقلي إلى الاستعارة بالكناية فـ "يجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغة في التشبيه، عاما عليه مبني الاستعارة."[4]

وبهذا فهو يجعل المجاز العقلي في دائرة الاستعارة المكنية ويؤكد بأن المجاز عنده كله لغوي ويقسمه:إلى مفيد وغير مفيد، والمفيد إلى استعارة وغير استعارة، والاستعارة إلى مصرح بها ومكنى عنها، والمصرح بها إلى تحقيقية وتخييلية، والمكنى عنها إلى ما قرينتها أمر مقدر وهمي أو أمر محقق، أما التحقيقية والتخييلية فيقسم كلتاهما إلى قطعية واحتمالية للتحقيق والتخييل.[5]

إن هذا التقسيم متشعب يختلف عن تقسيم الجرجاني، فالجرجاني يقسم المجاز إلى لغوي وعقلي وفصل فيهما، أما السكاكي فقد ذكر تقسيم السلف والسابقين له من أمثال الجرجاني والزمخشري ثم أعقب ذلك بتقسيمه الخاص الذي أخرج منه المجاز العقلي وقام بإلحاقه بالاستعارة المكنية كما سبق وأشرنا إلى هذه النقطة. وهذا يؤكد تأثر السكاكي بنظرة ورؤية من سبقوه، لكنه يعطي دراسته بإضفاء شخصيته التي تميل إلى التقسيم

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص392.

(2)- المرجع نفسه، ص393

(3)- المرجع نفسه، ص401.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5)- ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

والتكلف في التفريع فتارة نجده يعطي إضافات وتارة يلغي أمور فهو يعطي تلخيصا جامعا لكل ما تناوله سابقوه بطريقته وأسلوبه الخاص.

4– الكناية

سبق وعرفنا بأن الكناية هي اللفظ الذي يطلق ويراد به لازم معناه بوجود قرينة لا تمنع إرادة معناه الأصلي، ويقسمها العلماء البلاغيون وفق التقسيم التالي:

تقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام وهي على الترتيب:

- الكناية عن صفة: "وهي التي يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وإثباتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها."[1]ففي هذا النوع لا نقوم بالتصريح بالصفة المراد نسبتها بل تذكر الصفة التي تستلزم مكانها مع الموصوف.
- الكناية عن موصوف: "وهي أن يصرح بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به."[2] وهذا النوع كما يتضح لنا معاكس للضرب الأول فيصرح بالصفة والنسبة ولا يصرح بالموصوف.
- الكناية عن نسبة: "وهي أن يصرح فيها بالصفة والموصوف، ولا يصرح بالنسبة التي بينهما ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تدل عليها."[3]

تحدثنا سابقا في مبحث الحدود بأن الجرجاني قد درس الكناية في كتابه "دلائل الإعجاز"، لذلك لم يتطرق لها في "الأسرار" وهذا ربما لأنه لم يقسم مباحث هذا العلم إلى ما هو عليه الآن.

بدأ الجرجاني حديثه عن الكناية في دلائل الإعجاز بوصفها فنا دقيقا لطيفا، واستمر يذكر ويبين محاسنها فيقول فيها: "هذا فن من القول دقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو أنّا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون إلى إثبات الصفة هذا المذهب."[4]

وبهذا فالجرجاني يقسم الكناية إلى كناية مطلوب بها نفس الصفة ومثل لها بوصف الرجل وإثبات معنا له وذلك من خلال التكنية عن المعنى المراد فيجعلون الصفة المصرحة بها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به كقولنا طويل النجاد.

---

(1)- أبو منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: الكناية والتعريض، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص22.

(2)- المرجع نفسه، ص31

(3)- المرجع نفسه، ص36.

(4)-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص306.

ويقول الجرجاني أيضا: "من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن تجيء على صور مختلفة"[1] ويقصد بهذا أن تكون الكناية عن الصفة أو أن تكون كناية عن موصوف فصور الكناية تختلف وهذا نفس التقسيم المتعارف عليه.

ثم يتحدث عن إثبات الصفة ويقول فيها: "واعلم أنه ليس كل ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يحكم عليه بالتناسب"[2] فهذا النوع من الكناية يشترط الجرجاني فيه التناسب ومثل لذلك بقولهم: ""المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه"، وذلك أن قائل هذا يتوصل إلى ثبات المجد والكرم للممدوح، بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه."[3]

في هذا تناسب بين الصفة والموصوف فيصرح بهما ولا يصرح بالنسبة التي بينهما ويذكر نسبة أخرى للدلالة على النسبة الحقيقية، وهذا القسم هو القسم الذي عرف بعده بالكناية عن النسبة فعبد القاهر أول من تناوله وأشار إليه لكن ليس بهذا المصطلح ويقول في ذلك الدكتور أحمد مطلوب: "هذا النوع من ابتداع عبد القاهر، لأن السابقين لم يتحدثوا عنه في فصل الكناية."[4] فالفضل في معرفة واكتشاف هذا النوع يعود إذا إلى عبد القاهر في كتابه "دلائل الإعجاز."

درس السكاكي في كتابه" مفتاح العلوم" الكناية وذلك في القسم الثالث الذي خصه بعلم البيان، فهو جعل مباحث علم البيان كلها مرتبة في قسم واحد من كتابه، على عكس الجرجاني الذي تناول بعض مباحثه كالكناية في "دلائل الإعجاز" والذي كان محوره حول علم المعاني.

يقسم السكاكي الكناية إلى ثلاث أقسام وهي مرتبة كالآتي:

- في الكناية المطلوب بها نفس الموصوف: ويجعلها قريبة إذا اتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض، فتذكر للوصول إلى ذلك الموصوف، وتكون بعيدة عند تكلف اختصاصها، وذلك بضم عدة لوازم إلى بعضها كأن تقول في الكناية عن الإنسان: حي، مستوي القامة، عريض الأظفار.[5]
- في الكناية المطلوب الثاني بها نفس الصفة: وهي أيضا يقسمها إلى قريبة وبعيدة، فالقريبة "هي أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه"[6] مثل أن تقول طويل النجاد عند الحديث عن شخص طويل القامة.

(1)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص308.

(2)- المرجع نفسه، ص311.

(3)- المرجع نفسه، ص309.

(4)- أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1393هـ - 1983م، ص158.

(5)- ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص404.

(6)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

أما البعيدة "فهي أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة لوازم متسلسلة."[1] ومثل لها بقوله كثير الرماد فينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر، ومن كثرة الجمر إلى كثرة احتراق الحطب ...وفي هذا كثرة لاستعمال اللوازم.

– أما القسم الثالث فسماه في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف: ويشير أيضا إلى تفاوتها في اللطف ومثل لذلك بنفس المثال الذي وضعه الجرجاني عند حديثه عن إثبات الصفة في الكناية وهو بيت شعري قاله زياد الأعجم، حيث أراد تخصيص وإثبات السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج.[2]

تحدث السكاكي عن هذا القسم مطولا في الشرح والتفصيل فيه مستعينا بالأمثلة وشرحها، حيث يقارن هذا القسم مع القسمين الأولين مشيرا إلى الاختلاف بين هذه الأقسام.[3]

وهذا كان تقسيم السكاكي للكناية الذي نلحظ فيه تأثره بعبد القاهر وخاصة في القسم الثالث لأننا سبق وقلنا بأن عبد القاهر هو مبتدع هذا القسم والدليل الذي يؤكد تأثره به هو اعتماد نفس الأمثلة التي ذكرها عبد القاهر في الدلائل، فالسكاكي كما نعلم استفاد من تلخيص الرازي لكتابي عبد القاهر "الأسرار" و"الدلائل"، وهذا ربما ما جعله يتأثر ويأخذ عنه.

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص405.

(2)- المرجع نفسه، ص407.

(3)-المرجع نفسه، ص410.

الفصل الثاني: علم البيان– التمثيل والاصطلاح

المبحث الأول: في التمثيل

المبحث الثاني: في الاصطلاح

تمهيد

إن الشواهد والأمثلة ضرورية في كل علم، فهي تقوم بدور مهم من الناحية التعليمية، لأنها تعطي للقارئ صورة واضحة يستطيع من خلالها استيعاب ما جاء في هذا العلم، ولذلك سنقوم بدراسة أنواع الشواهد والأمثلة في مباحث البيان عند الجرجاني والسكاكي، وهذه الإشارة منا لم نجدها عن الدارسين، فهي تمثل جوهر الجديد الذي عملنا عليه في هذا البحث، كما لا يخفى عنا أن كل علم يختص بمصطلحاته، ولذلك سنقوم بدراسة أهم المصطلحات البلاغية عند الجرجاني والسكاكي.

المبحث الأول: في التمثيل

إن التمثيل في الركائز التي يقوم عليها الدرس البلاغي العربي فقد جعلوا التمثيل الاستشهاد حجة على كلامهم ويعرف الشاهد في اللغة كما جاء في معجم الصحاح: "الشاهد والجمع الشهداء، وأشهدته على كذا فشهد عليه، أي صار شاهدا عليه."[1]

ويعرف الشاهد في القاموس المحيط: "شاهد، ج: شهود وشهد. وشهد لزيد بكذا شهادة: أدى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، ج: شهد، بالفتح، حج: شهود وأشهاد. واستشهده: سأله أن يشهد. والشهيد، ونكسر شينه: الشاهد، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء."[2]

من خلال هدين التعرفين نستنتج أن الشاهد يستعمل في الإثبات والاحتجاج والاستدلال والتدعيم به.

كما جاء في ضرب مقارب للتعريفين السابقين نجد الزمخشري أيضا يقول فيه "شهدته وشاهدته، وشوهدت منه حال جميلة. ومجلس مشهود، وكلمته على رؤوس الأشهاد، وهم شهودي وشهدائي. والله يشهد لي، ولا أستشهده كاذبا، وهو من أهل المشهد والمشاهد، .... وامرأة مشهد: خلاف مغيبة، وقد يقال مشهدة ومغيبة..."[3] فالزمخشري هنا يشير إلى أن الشاهد يكون حاضر لا غائب، فيه يستشهد على الكلام، فالشاهد يستوجب الأمانة فلا يجوز الاستشهاد كذبا.

إن الشواهد والأمثلة من أساسيات الدرس اللغوي العربي عامة، فيأتي بها للاستشهاد والاحتجاج على صحة نسبة اللفظ أو العبارة أو التعبير إلى العربية، وتتجلى قيمتها الكبيرة في عدم نسبة ما ليس للغة العرب من أساليب وعبارات، لأن هذا يترتب وينتج عنه نسب أحكام وقواعد لغوية أو نحوية أو بلاغية ليست من أصل العربية، وهذا يؤدي إلى إفساد الأحكام فيها.

وأما الشاهد في الاصطلاح فهو: "جملة من كلام العرب وما جرى مجراه، كالقرآن الكريم، تتسم بمواصفات معينة، ... وتقوم دليلا على استخدام العرب لفظا لمعناه، أو نسقا في نظم أو كلام."[4]

كما يعرفه السيد سعيد الأفغاني بقوله: "يراد بالاحتجاج هنا إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة أو ترتيب، بدليل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة."[5]

---

(1)- الجوهري: الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، مادة شهد، ص494.

(2)- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط: تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005م، مادة شهد، ص292.

(3)- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ - 14998م، ج1، مادة شهد، ص527.

(4)- يحيى عبد الرؤوف جبر: مجلة النجاح للأبحاث، الشاهد اللغوي، مج2، ع6، 1992، ص256.

(5)- سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، دار الفكر، د ط، ص17.

استنادا إلى ما جاء في التعريفين السابقين فإن الاستشهاد أو ما يطلق عليه سعيد الأفغاني الاحتجاج هو ما يأتي به من كلام العرب الفصيح المنقول ليستشهد به على صحة نسبة كلام أو عبارة أو تعبير أو لفظة أو دلالة إلى اللغة العربية.

تجدر بنا الإشارة إلى أن الشواهد تتنوع وتختلف مواضع الاستشهاد بها، فهناك شواهد قرآنية وهي الآيات القرآنية التي أنزلها الله تعالى إلى عباده، وهذا النوع من الشواهد يمثل أقواها من حيث بلاغة وإعجاز القرآن.

وهناك الشواهد من الحديث النبوي والتي تتمثل في أقوال النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا ننسى فصيح كلام العرب من شعره ونثره، فالعرب تميزت منذ جاهليتها بفصاحة كلامها وبلاغتها وحسن بيانها. وما يهمنا في بحثنا هو الشاهد البلاغي الذي اعتمده كل من الجرجاني والسكاكي في كتابيهما "الأسرار" و "المفتاح" وهذا ما سنتطرق له، حيث سنحاول معرفة طريقة إيراد كل منهما لهذه الشواهد المتنوعة كما ذكرنا سابقا واستدلالهما بها على مختلف القواعد البلاغية التي وضعوها في مباحث علم البيان "التشبيه والاستعارة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والكناية".

1- التشبيه

درس الجرجاني مباحث علم البيان وألم بها من كل جوانبها، إلاأنه أعطي قدرا كبيرا من اهتمامه لمبحث التشبيه الذي خصص له جزءا كبيرا حيث جعل أغلب صفحات كتابه "الأسرار" في الحديث عنه.

وقد اعتمد فيه على توظيف الشواهد والأمثلة بتنوعها واختلافها، سواء كانت شعرية أو نثرية أو قرآنية.

فمن يطلع على كتاب "الأسرار" لعبد القاهر يجده يكثر من الاستشهاد والاحتجاج بالشواهد الشعرية، فقد كان إذا أعطى تعريفا ضمنه شاهدا شعريا كذكره تعريف التشبيه الصريح والتمثيل له ببيت شعري من قول ابن المعتز:[1]

وكأنَّ البَرْقَ مُصْحَفُ قارٍ فانطباقاً مرَّةً وانفتاحـا

ونجده بعد ذكره للبيت يقوم بشرحه وتفصيله، كما فعل في هذا البيت حيث شرح كيف شبه ابن المعتز البرق.

وفي نفس السياق عند حديثه عن الفرق بين التشبيه والتمثيل، وقد سبق أن تطرقنا إلى تعريفهما في مبحث الحدود، جاء بعدة أمثلة من الشواهد الشعرية نذكر البعض منها كقول قيس بن الخطيم:[2]

وَقَدْ لاَحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا كَمَا تَرَىكَعُنْقُوْدِ مُلاَّحِيَةٍ حِيْنَ نَوَّراً

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص116.

(2)- المرجع نفسه، ص73.

والجرجاني يرى بأن هذا التشبيه حسن وهو ليس تمثيل، ويستمر في ذكر أبيات من شعر ابن المعتز لتأكيد رأيه والتوضيح أكثر فيقول: "ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها"[1] فيورد عدة أبيات له متتالية منها:[2]

وتروم الثُّريا في الغُرُوبِ مَرَامَا

كانكباب طِمِرٍّ كادَ يُلقَى اللِّجَامَا

وأيضا قوله:[3]

لَمَّا تَعَرَّى أُفُقُ الضِّياءِ مثلَ ابتسام الشَّفَة اللَّمْياءِ

نلاحظ أن الجرجاني لم يتعرض لشرح هذه الشواهد الشعرية بل اكتفى بوصفها بالحسن، وهذا ربما يعود لكونها واضحة لا تحتاج شرحا، بينما نجده في مواضع أخرى عند احتجاجه بشاهد شعري يسهب في شرحه والإلمام بكل ما يخدم البيت من ألفاظ ومعاني تبسطه وتمكنك من فهمه، ومثال ذلك البيت الشعري الذي استشهد به عند التشبيه الذي تحصل فيه هيئة من اقتران شيئين، حيث ذكر البيت الشعري وهو:[4]

غَدَا والصبحُ تحتَ اللَّيل بادٍ كطِرْفٍ أشهبٍ مُلْقَى الجِلالِ

ففي هذا القول يشير عبد القاهر أن الشاعر لم يرد تشبيه الصبح أو الليل كل منهما منفردا، بل أن تتأمل حالهما معا من خلال المجيء بهيئة تحصل من مقارنتهما معا، ثم يقارن هذا مع المثال الذي ذكره قبله ويستمر في الشرح للبيت الشعري مقارنة بالمثال الذي أورده سابقا، ويتبع شرحه بمثال آخر لتوضيح الرؤية أكثر، ويستمر في ذكر أبيات شعرية لمختلف الشعراء.

إن الجرجاني عند وضعه لهذه الشواهد الشعرية لم يقف عند شاعر واحد وإنما اعتمد على أشعار العديد من الشعراء الجاهليين والإسلاميين، فتارة نجده يذكر اسم الشاعر وتارة أخرى يغفل عن ذكره حيث لم يعتمد على معيار محدد في هذا الجانب، فعند حديثه مثلا عن التشبيه المعكوس (المقلوب) الذي يعرفه بأنه" جعل الفرع أصلا والأصل فرعا"[5] أعطى في هذا الضرب شواهد شعرية كثيره توضح ما جاء في تعريفه.

عند الاستشهاد نجده تارة يعطي اسم الشاعر ومثال ذلك: قول البحتري في وصف البركة:

إذا زهتها الصَّبا أَبْدَتْ لَها حُبُكًا مِثْلَ الجَواشِنِ مَصْقُولًا حَواشِيها

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص73.

(2)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(3)- المرجع نفسه، ص 74.

(4)- المرجع نفسه، ص 127.

(5)- المرجع نفسه، ص151.

وفي هذا يبين عبد القاهر كيف يعكسون التشبيه،إذ يشبهون الغدران والبركة بالضروع والجواشن، وسار على نفس المنوال في ذكره للشواهد الشعرية وتوضيحها في عدة صفحات متتالية، وتارة أخرى يتخلى عن ذكر صاحب البيت الشعري ويكتفي بعبارة "كقوله" نحو تشبيه نور الرياض بالنجوم فيذكر الشاهد دون ذكر صاحبه ويقول: "كقوله:

بكتِ السماءُ بها رذاذ دموعها فغدتْ تبسمُ عن نجوم سماءٍ

ثم شبه النجوم بالنور كقوله:

قد أقذِفُ العيسَ في ليلٍ كأنّ به وَشياً من النَّوْرِ أو رَوْضَاً من العُشُبِ"[1]

ففي البيت الأول شبه النور بالنجوم،أما في البيت الثاني فقد شبهت النجوم بالنور وهذا ما يعرف بعكس التشبيه.

إذن فالجرجاني هنا قد أعطى تعريف التشبيه المعكوس ثم فصل في عدة صفحات بشواهد شعرية تشرح وتوضح ما ورد في التعريف، فعبد القاهر ينتقل من الإجمال إلى التفصيل، فهو يذكر القاعدة العامة ثم يفصل فيها محتجا بشواهد شعرية كثيرة تؤكد على ما جاء به في القاعدة.

كما يقوم الجرجاني بمزاوجة بين الشواهد الشعرية والأقوال النثرية والآيات القرآنية تارة والأحاديث النبوية تارة أخرى، ونجد هذا في حديثه عن انتزاع الشبه من الوصف وتقسيمه لأمر راجع إلى نفسه وأمر لا يرجع إلى نفسه، فيمثل للأول بتشبيه الكلام بالعسل في الحلاوة، وهو مثال تصوري ذهني من وضع الجرجاني، فيشرحه من خلال قوله: "وذلك أن وجه التشبيه هناك أن كل واحد منهما يوجب في النفس لذة وحالة محمودة، ويصادف منها قبولا. وهذا حكم واجب للحلاوة من حيث هي حلاوة، أو للعسل من حيث هو عسل."[2] وهو هنا يشرح المثال الذي قام بوضعه مبسطا إياه، وبنفس الخطوات يشرح القسم الثاني ويمثل له.

ثم يتحدث عن التشبيه جملة فيقول فيه: " واعلم أن "المثل" قد يضرب بجمل لابد فيها من أن يتقدمها مذكور يكون مشبها به، ولا يمكن حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه، ونقل الكلام إليه حتى كأنه صاحب الجملة، إلا أنه مشبه بمن صفته وحكمه مضمون تلك الجملة"[3].

ويوضح ما قاله باستشهاده بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً "[4] من خلال هذا المثال يبين الجرجاني ما جاء به في قوله السابق، وهو لزوم ذكر المشبه به "الإبل"

(1)- ينظر: الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 154

(2)- المرجع نفسه، ص78.

(3)- المرجع نفسه، ص84.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ثم يضيف شاهد آخر وهو قوله عز وجل "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ."[1] فهو يؤكد بهذه الآية على ضرورة ذكر ما تعلق الجملة به وهو المشبه به وهو في الآية"الماء" ويعلق الجرجاني على ذلك قائلا:"لو أردت أن تحذف "الماء" الذي هو المشبه به وتنقل الكلام إلى المشبه الذي هو "الحياة"، أردت ما لا تحصل منه على كلام يعقل، لأن الأفعال المذكورة المحدث بها عن الماء، لا يصح إجرائها على الحياة"[2] وبعد انتهائه من شرح الشاهد القرآني ينتقل إلى ذكر أوجه الجملة إذا جاءت بعد المشبه به. فالوجه الأول هو الذي يكون فيه المشبه به اسما موصولا والجملة بعده صلة موصول، ويمثل له الجرجاني بمثال من وصنعه وهو:"أنت الذي من شأنه كيت وكيت"[3] ويزيد على ذلك بذكره آية من القران الكريم من سورة البقرة وهي قوله عز من قائل:" مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ."[4]

أما الوجه الثاني فالذي يكون المشبه به نكرة والجملة تكون صفة له فقد مثل له بمثالين أيضا أولهما من صنعه حيث يقول: "أنت كرجل من أمره كذا وكذا"[5] والثاني من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام وهو نفس المثال الذي ذكره سابقا عند حديثه أولا عن التشبيه جملة.

وأما الوجه الثالث فاكتفى فيه بذكر شاهد قرآني له من سورة العنكبوت التي يقول فيها تعالى: "كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا "[6].

من خلال ما سبق نجد أن الجرجاني يكثر من الأمثلة للعنصر الواحد ولا يكتفي بمثال واحد، وهذا راجع إلى قدرته على التنويع في الاحتجاج والتوضيح بالشواهد التي حققت الغرض منها والمتمثل في توضيح الفكرة.

لقد اعتمد الجرجاني على التمثيل بكثرة، فقد وظف مختلف الأمثلة والشواهد الشعرية والنثرية وأخرى قرآنية وبعضها من الحديث، والتي بدورها تتفرق بين مفهوم التشبيه وأقسامه وتفريعاته، فهو يقدم مزيجا فنيا من الشواهد مشبعا لنفس القارئ، إلا أنه تغلب على أمثلته الشواهد الشعرية –وما تطرقنا اليه نحن في بحثنا نقطة من بحر أو قليل من كثير مما جاء به الجرجاني– كون هذا الأخير اتخذ من المدرسة الأدبية نهجا كونها "تتسم المدرسة الأدبية بالإكثار من الشواهد والأمثلة، وكان المؤلفون يذكرون القاعدة بسطر أو سطرين ويأتون بالأمثلة التي تتجاوز

(1)– سورة يونس: الآية24.

(2)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص84.

(3)– المرجع نفسه، ص85

(4)– سورة البقرة: الآية 17

(5)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص85.

(6)– سورة العنكبوت: الآية4.

الصفحات. ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة أو بيت شعري وإنما تعدتها إلى القطعة الشعرية والرسائل الأدبية"[1].

وهذا ما لمسناه في أسلوب عبد القاهر في طريقة استشهاده واحتجاجه بالأمثلة النثرية والقرآنية والشعرية خاصة، فقد كان يذكر القاعدة ويمثل لها، وكلما فصل أو فرع ذكر شاهدا أو أكثر لكل فرع يشير إليه.

ومن خلال تتبعنا لمباحث علم البيان وجدنا أن الجرجاني عني بمبحث التشبيه وأعطاه قدرا كبيرا من الاهتمام، حيث أغناه من ناحية التمثيل، كما نجده في بعض المواضع يكرر نفس المثال.

فإذا انتقلنا إلى الحديث عن السكاكي نجده يبدأ مباحث علم البيان في كتابه "المفتاح" بمبحث التشبيه والذي أثراه بأمثلة متفرقة في موضوعات التشبيه التي تطرق لها، حيث تتنوع هذه الأمثلة بين أقوال نثرية وشواهد شعرية وقرآنية.

وعلى خلاف الجرجاني في "الأسرار" فالسكاكي وضف الأمثلة النثرية ذات الطابع التصوري التخيلي، فقد كان يبتعد أثناء وضعه لهذه الأمثلة عن الروح الأدبية التي تقوم على التذوق الفني المعتمد على الإحساس، فالسكاكي كما سبق وأشرنا إليه من المتأثرين بالفلسفة والمنطق؛ لأنه ينتمي إلى المدرسة الكلامية التي "من مظاهر الأثر الفلسفي في هذه المدرسة الإقلال من الشواهد والأمثلة الأدبية، لأن رجالها اهتموا بالتحديد المنطقي والحصر والتقسيم فكانوا يذكرون لكل قاعدة شاهدا واحدا أو مثالا قصيرا أو بعض الشواهد والأمثلة التي خلت من الجمال أو المسحة الفنية"[2]إذا فهذا هو النهج الذي سار عليه السكاكي عند دراسته للتشبيه، فقد كان يعطي أقساما وقواعد ثم يمثل لها بمثال مجرد من النزعة الأدبيةوالفنية فيضرب مثالا لاستناد طرفي التشبيه إلى العقل بقوله:"كالعلم إذا شبه بالحياة."[3] وبهذا المثال يؤكد السكاكي استناد المشبه والمشبه به وهما "العلم والحياة"إلى العقل.

كما يوجد العديد من الأمثلة المشابهة التي اعتمدها بكثرة في تناوله لهذا المبحث فمن المواضع التي نلمس فيها أن السكاكي اعتمد فيها بكثرة على أمثلة من صنعه حديثه عن الغرض العائد إلى المشبه فنجده ويقسم هذه الأغراض إلى خمسة أقسام، وفي كل قسم منها يذكر مثالا يوضح به ذلك الغرض ونذكر منها مثاله الذي ضربه للغرض العائد إلى المشبه الذي يكون لبيان حاله وهو:"إذا قيل لك: ما لون عمامتك؟ قلت: كلون هذه. وأشرت

(1)- أحمد مطلوب: البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، د ط، 1982، ص62.

(2)- المرجع نفسه ، ص 58.

(3)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص333.

إلى عمامة لديك."[1] فالغرض من المشبه في هذا المثال هو بيان حالته، فقد بين للسائل حال العمامة أي كيف هو لونها.

ويضرب مثالا للغرض العائد للمشبه لبيان مقدار حاله يقول: "هو في سواده كحلك الغراب"[2] يقصد بهذا المثال أن سواد هذا الشخص أو الشيء بمقدار سواد الغراب فقد بين مقدار حاله من السواد.

هذه بعض من أمثلة النثرية التي تطرق لها، لكنه لم يكتف بها بل تجاوز ذلك إلى استشهاده بمختلف الشواهد الشعرية والآيات القرآنية في مواضع أخرى من حديثه عن التشبيه منه أنه عند تعريفه وبيان ماهية التشبيه التمثيلي ضرب له مثالا من الشعر، فقد بدأ بتعريفه بقوله: "واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل"[3] وبعد قوله هذا يستشهد ببيتين من الشعر هما:

اصْبر على مضض الحَسُو دِ فإنَّ صبركَ قاتلُه

فالنَّارِ تأكلُ بعضَها إن لم تجد ما تأكلُه"[4]

ويشرح السكاكي التشبيه في هذين البيتين حتى يبين أن وجه الوصف غير حقيقي، فتشبيه الحسود المتروك بالنار التي تأكل بعضها بعضا عند عدم إمدادها بالحطب تشبيه وجه الشبه فيه متوهم يحصل في هيئة عقلية تقوم على سرعة الفناء لعدم الإمداد بما يسبب الحياة، فالشبه هنا منتزع من عدة أمور.

ويضيف مثالا آخر في نفس السياق فيقول: "وكالذي في قوله:

إنَّ مَن أدَّبته في الصبا كالعُود يُسقَى الماءَ في غَرسهِ.

حتى تراه مُورِقًا ناضرا بعد الذي أبصرتَ مِن يُبسهِ."[5]

فالشاعر في هذا القول يشبه المؤدب في الصغر بالعود الذي يسقى عند غرسه عند تورقه ونضرته، وهذا يكون عندما يلازم أنه مهذب الأخلاق حسن السيرة، طيب الأفعال، وهذا أمر تصوري عقلي ولا صفة حقيقية فيه وهو أيضا منتزع من عدة أمور.

تجدر بنا الإشارة أن السكاكي لم يستشهد بأبيات من الشعر في هذا الموضع فقط أي عند تعريف التشبيه التمثيلي بل أنه كان يذكر أبياتا شعرية في مواضع أخرى متفرقة كما لاحظنا مزاوجته بينها وبين أقوال نثرية من صنعه في بعض الأحيان، واستنادا على هذا نشير إلى ما جاء به من أمثلة عن وجه التشبيه غير الواحد لكنه في

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم ، ص341

(2)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(3)- المرجع نفسه، ص346.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5)- المرجع نفسه، 347

حكم الواحد، حيث نجده يبدأ أولا بذكر أمثلة من صنعه نذكر منها "كسقط النار إذا شبهت بعين الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة، والشكل الكروي، والمقدار المخصوص، وكالثريا إذا شبهت بعنقود الكرم للمنور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير من المرآى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص."[1] نجد السكاكي هنا يذكر أكثر من مثال في نفس المعنى وذلك إثراء منه وبيان لقدرته في وضع الأمثلة وحسن اختياره للمثال المناسب في الموضع المناسب.

لم يكتف السكاكي بأمثلة من صنعه بل زاد عليها شواهد شعرية، ففي كل مرة يذكر البيت الشعري ثم يقوم بشرح ما جاء فيه، ويستمر بنفس الطريقة فنجده يذكر ما يقارب الخمسة أبيات لنفس القسم ومن الأبيات الشعرية التي ذكرها:

"وَ كأنَّ أجرامَ النجومِ لوامعاً درَرٌ نُثِرنَ على بساطٍ أزرق"[2]

يشبه الشاعر هنا الهيئة الحاصلة من النجوم المتلألئة في جوانب من السماء المتميزة بالزرقة والصفاء، بالهيئة الحاصلة المستطرقة من درر منثورة على بساط أزرق، دون كون الشيء آخر مناسب للدرر في الحسن والقيمة.[3]

إضافة إلى ما سبق ذكره، فالسكاكي اعتمد هو الآخر على الشاهد القرآني بوفرة، فنلاحظ ذكره لآيات مختلفة من كتاب التنزيل عند بيان الغرض العائد إلى المشبه به الذي يرجع إلى إيهام كونه أتم من المشبه في وجه التشبيه كما رأينا ذلك سابقا.

ومن ذلك أننا نجد السكاكي يمثل بقوله تعالى عن الذين أرادوا جعل الربا حلال: "إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا"[4] فهم يؤولون الآية بجعل الربا مثل البيع وبالتالي تحليل الربا، فهم يتوهمون أن المشبه به وهو الربا أتم من المشبه وهو البيع في وجه التشبيه وكذلك ما ذكره السكاكي في نفس الموضع مستشهدا بقوله تعالى"أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ"[5] إذ يشير السكاكي أن من لا يخلق هو الحي العالم القادر من الخلق لا الأصنام التي كان يعبدها الكافرون، والإنكار في الآية موجه إلى توهم تشبيه الحي العالم القادر من الخلق به تعالى، وتقدس عن ذلك علوا كبيرا، تعريفنا له عن تشبيه ما ليس بعالم قادر به تعالى.[6]

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص336.

(2)- المرجع نفسه، ص337.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4)- سورة البقرة، الآية 275.

(5)- سورة النحل، الآية 17.

(6)- ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص344.

إن غالب الظن أن السكاكي قد تأثر في هذا المبحث (التشبيه) بما جاء به الجرجاني قبله في "الأسرار" والدليل على ذلك ما نجده من تكرار للأمثلة والشواهد الشعرية والقرآنية التي وضعها الجرجاني في "الأسرار"، فنجده يستشهد بآية من سورة يونس عند حديثه عن التشبيه إذا كان مركبا عقليا وهي نفس الآية التي جاء بها الجرجاني عند حديثه عن كثرة الجمل في التشبيه حتى أنها تكاد تكون جملة واحدة لكونها منتزعة من عدة أمور، فلا يفصل أحدها عن الأخرى حسب الجرجاني، فهذه الجمل تمثل تركيبا عقليا متناسقا معا، إذا فكل منهما أراد نفس المعنى من وراء إعطاء هذه الآية كشاهد.

وكذلك نجد بعض الأبيات المشتركة بينهما نذكر منها:

كما أبرقت قومًا عطاشًا غمامة ... فلما نجوها أقشعت وتجلت[1]

نخلص بعد الذي ذكرنا أن الجرجاني والسكاكي قد أثريا هذا المبحث بمختلف أنواع الشواهد، فالجرجاني غلب عليه استعمال الشواهد الشعرية وهذا يعود لقدرته الفنية في تذوق الأدب وتحليله الدقيق لهذه الشواهد كما رأينا. فقد كان يشرح الشواهد بطريقه متميزة "فأثبت عبد القاهر أن الفن البلاغي الواحد يمكن أن ينظر إليه من جوانب مختلفة."[2] نلمسه عندما كان يذكر أكثر من مثال للقاعدة الواحدة، كما يزاوج بين الأمثلة المختلفة فهو يدرس ويتناول القاعدة والحكم البلاغي من كل جوانبه.

ومما لا شك فيه أن السكاكي أيضا كان مبدعا في أمثلته وشواهده لكن بطريقته الخاصة التي تميز بها عن غيره من العلماء في عصره، والتي تقوم على اعتماد المنهج العلمي مع مزجه بالمنهج الأدبي ويتجلى ذلك في كثرة التقسيم والتشعيب وضربه الأمثلة المصطنعة من خياله ومزجها بالأمثلة الشعرية.

2– الاستعارة

بعد دراستنا لمنهجيه التمثيل عند الجرجاني في مبحث التشبيه نجد أنه اعتمده أيضا في الاستعارة، حيث استهل بها عند تناوله لمباحث علم البيان إذ يقول في هذا الصدد:"هنا أمورا اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة."[3] وكما اعتمد على التمثيل والاستشهاد في مبحث التشبيه، فإن الاستعارة أيضا لم تخل عنده من الأمثلة المدعمة والموضحة لما يأتي به من قواعد وأقسام.

(1)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص82.

(2)– أحمد مطلوب، عبد القادر الجرجاني، بلاغته ونقده، ص40.

(3)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص31.

فعند تقسيمه للاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة يضرب مثالا لكل قسم فيمثل الاستعارة غير المفيدة باستعمال الشعراء أسامي عديدة لنفس العضو، فقد استعملوها لغير الجنس الذي وضعت له، مثل وضع الشفة للإنسان واستعاراتها للفرس بدلا من استعمال ما وضع له في الأصل وهو الجحفلة إذ يقول في ذلك:[1]

فبِتنا جلوساً لدى مُهرِنا نُنزِعُ من شفتيه الصَفارا

وأثناء شرح الجرجاني لهذا المثال يصرح بأن هذا النوع من الاستعارة لا يفيد؛ لأن الشفة موضوعة للإنسان وعند استعمالها في موضع آخر يدخل على السامع لبس في فهمه للمعنى المراد. وفي نفس السياق يذكر ثلاثة أمثلة يبين بها مواضع استعمال اسم عضو لغير جنسه كقول العجاج:

وفَاحِمًا، ومَرْسِنًا مُسَرَّجَا[2]

فالعجاج هنا ذكر "المرسن" وهو في أصله وضع للحيوان، لكنه يقصد الأنف الذي يبرق كالسراج.

والمثالان الآخران لا يذكر صاحبهما بل يكتفي بقوله: "وقال آخر"؛فالأول جاء في وصف الإبل:[3]

تسمعُ للماءِ كصوت المِسحَل بين وريدِها وبين الجَحفلِ

الشاعر في هذا البيت استعار لفظة الجحفلة التي هي في الأصل موضوعة للفرس بدل لفظ المشفر الخاص بجنس الإبل.

والبيت الآخر:[4]

"والحَشْوَ مِنْ حَفَّانِهَا كَالحَنْظَلِ"

فالشاعر هنا أيضا يسمي صغار الإبل بـ "الحفان" وهو لفظ يطلق على صغار النعام في الأصل.

ثم ينتقل للحديث عن الاستعارة المفيدة فيبينها بأنها ما تحصل بها فائدة ويمثل لها بأمثلة نثرية من تقديره نحو: "رأيت أسدا، سللت سيفا على العدو"[5].

فهو ينسب الأسدية للرجل الشجاع من خلال المبالغة في الوصف لأنه بذكر الأسد تحضر إلى الذهن صورته وبطشه وبأسه وشدته وهذه هي صفات الرجل الشجاع، وهذا عائد إلى الجرأة، فهذه الاستعارة تحقق فائدة، ونفس الشيء في المثال الآخر فقد قصد به المبالغة في الوصف إذ عمد إلى ذكر السيف مريدا الرجل الحامل له

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص32.

(2)- المرجع نفسه، ص31.

(3)- المرجع نفسه، ص32

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(5)- المرجع نفسه، ص 33.

والذي يحقق به نصرته، فقد كانت الفائدة هي المساعدة التي قدمها الرجل بحمله للسيف وهي النصرة على العدو وهذا هو مغزى الاستعارة.

وفي سياق مقارب لما جاء به الجرجاني، يذكر الرازي نفس المثال وهو "إذا قلت:رأيت أسدا " قيل إنه جعله أسدا أو حكم بثبوت الأسدية له. ولا يقال لمن سمى إنسانا بالأسد أنه صيره أسدا او أثبت له وصف الأسدية."[1]

كما نجد عبد القاهر يكرر هذا المثال "رأيت أسدا" في مواضع أخرى منها أنه أعاد ذكره عند الحديث عن الاستعارة الاسمية المرموز لها، ويذكر معه أمثلة أخرى من صنعه موضحا بها وهي: عنت لنا ظبية ويقصد بها إمرأه،"وأبديت نورا" ويقصد بهذا المثال الهدى والبيان والحجة وبهذا يشرح كيف ينقل الاسم عن موضعه ويكني عنه وذلك على سبيل الإعارة والمبالغة في التشبيه.

إن الجرجاني ينتقل من الحكم العام إلى أحكام جزئية، فهنا قام بوضع مفهوم الاستعارة ثم يبين أقسامها مع تدعيم كل هذه الأقسام والأجزاء بأمثلة متنوعة بين الشواهد الشعرية والنثرية، وأحيانا نجده يكرر ذكر المثال في مواضع أخرى إذا اقتضى الأمر، وكان يقف على كل مثال يشرحه حسب القاعدة التي يأتي بها، كي يستطيع القارئ الوصول إلى فهم المقصد منها.

أيضا فهو يضع للقاعدة أو الحكم الواحد عدةأمثلة داعمة لها، كما سبق وذكرناه من شواهد شعرية وأمثلة نثرية.

لم يكتف الجرجاني بذكره لشواهد شعرية ونثرية فقط بل قام بإيراد آيات من القرآن الكريم منها: استشهاده بآية من سورة الأعراف وأخرى من سورة الفاتحة وثالثة من سورة الشورى عند ذكره للضرب الثالث من الاستعارة وهي التي يكون فيها الشبه مأخوذا من الصور العقلية، فيبدأ عبد القاهر بشرح الشاهد ثم يذكر الآية–خلافا لما فعل في مواضع أخرى حيث يذكر الشاهد ثم يشرحه– نحو قوله "كاستعارة" النور" للبيان والحجة الكاشفة عن الحق، المزيلة للشك النافية للريب، كما جاء في التنزيل من نحو قوله عز وجل: "وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ" وكاستعارة "الصراط" للدين في قوله تعالى:"اهدنا الصراط المستقيم"، و"وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم"[2]، ثم يستمر في شرح كيف يكون الشبه في صورة عقلية.

ولم يكن هذا الموضع الوحيد الذي يستشهد فيه بآيات من القرآن الكريم، كما هو الحال في الشواهد الشعرية والنثرية، فهي كلها متفرقة ومتناثرة بين نصوصه وقواعده، وهو نفس ما وظفه أيضا عند استعماله لأحاديث نبوية، ونلمس ذلك في حديثه عن الأصل الثاني من الاستعارة التي يأخذ الشبه فيها من الصور العقلية، فيضرب مثالا

(1)–الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص135.

(2)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص54.

للشبه من المحسوس للمحسوس، إلاأن الشبه عقلي بقوله صلى الله عليه وسلم "إياكم وخضراء الدمن"[1] وهو لا يقصد بهذا المثال حسن وبهاء وجمال المرأة في تشبيهها بجمال لون النبات وخضرته وإنما يقصد حسن وجمال الظاهر للعين مع فساد الباطن.

وبعد هذا يضيف مثالا آخر لنفس القاعدة من الشعر وهو:

هو عسل إذا ياسرته وإن عاسرته فهو صاب

كما قال:

عسل الأخلاق ما ياسرته فإذا عاسرت ذقت السلعا[2]

ففي كل هذه الأمثلة يؤكد على أن الشبه عقليا بالرغم من تشبيه شيء محسوس بآخر محسوس،فالأول ليس الغرض جمال وحسن المرأة وانما خبثها، والثاني أيضا ليس الغرض من العسل الحلاوة والمرارة التي يصفها المذاق لنا، بل الغرض الحقيقي هو حالة الرضا التي يلمسها متذوق العسل.

فالجرجاني إذا يزاوج بين الأمثلة ولا يكتفي بذكر مثال واحد عن كل قاعدة أو العنصر الواحد، بل يزيد عليه مثالا أو أمثلة أخرى، سواء من نفس النوع أو مختلفة، كما رأينا مزاوجته بين شاهد من الحديث الشريف وآخر من أقوال الشعراء.

لم يغفل الجرجاني الاحتجاج والاستشهاد بالأقوال والأمثال، وهذا يتجلى عند حديثه عن الطريق الثاني في شبه المعقول من المعقول فيستشهد بقول أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه: "مَاتَ خُزَّانُ الْمَوالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَان مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ"[3]فهو يشير إلى الذكر بعد الموت، فأسماء العلماء تبقى خالدة في القلوب بوجود أعمالهم وأقوالهم بالرغم من موتهم.

فكأن أعمالهم أحيتهم لنا، فهنا لا يجوز إحلال الوجود محل العدم، فلا نجعل العلماء أحياء وهم أموات، لكن تحييهم أعمالهم.

فالملاحظ في أسلوب الجرجاني أنه أثرى مبحث الاستعارة بمختلف أنواع الأمثلة النثرية والشعرية والقرآنية وكذلك الأمثال والأقوال، فنجده يتفنن في ذكر هذه الأمثلة وشرحها، فهي تتفق مع ما يجيء به في القاعدة ويكون المثال أحسن دعامة لها، فنجده يبسطها بأمثلة كثيرة على اختلافها.

(1)-الجرجاني: أسرار البلاغة، ص55

(2)- المرجع نفسه، ص56.

(3)- المرجع نفسه، ص64

ونلاحظ أيضا أنه يستطرد في بعض الأحيان، اذ يذكر المثال ويشرحه وينتقل إلى قاعدة أخرى ثم يعود إلى المثال الأول ويتحدث عنه.

يعد أسلوب السكاكي المتميز وقدرته على تجريد الكلام من القيمة الفنية هو سر الجودة التي حققها في كونه يأتي بالقاعدة ويدعمها بالشاهد البلاغي الذي في غالب الاحيان يكون من صنعه، وذلك لأنه يهتم بتوضيح القاعدة والقانون حسب التصور المنطقي والدهني للأشياء ولهذا فان مبحث الاستعارة عند السكاكي أيضا لم يخل من التمثيل والاستشهاد والاحتجاج.

وفي بحثنا هذا سوف نعمد إلى ذكر بعض الشواهد التي جاء بها في كتابه "مفتاح العلوم"، والتي غلب عليها الطابع النثري كقوله:"رأيت أسدا"[1] في القسم الأول المتمثل في الاستعارة التصريحية التحقيقية مع القطع، ففي هذا المثال ألحق شجاعة الرجل وجرأته بشجاعة الأسد وذلك بادعاء الأسدية له من خلال إطلاق اسم الأسد عليه، وهو نفس المثال الذي شرحه الجرجاني في "الأسرار" كما أشرنا سابقا.

ومن الأمثلة أيضا"أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس، وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة"[2] ويذكر هذا المثال عند حديثه عن الاستعارة التخييلية مع القطع ويعني به تشبيه المنية بالسبع، فكما تأخذ المنية الأرواح فإنه يمكنك تخيل وتصور الموت المحقق عند رؤية السبع، لأنه يغتال النفوس وينتزع الأرواح قهرا وغلبة، فيجعل السبع وهو صورة حقيقية مقابلا لصورة وهمية محضة وهي المنية.

ويستمر السكاكي بشرح المثال بإعطاء إضافات تزيد من وضوح القاعدة التي تقوم على "أن تسمى باسم صورة متحققة، صورة عندك وهمية محضة، تقدرها مشابهه لها، مفردا في الذكر، في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا"[3]. فالسبع يمثل الصورة المتحققة والمنية هي الصورة الوهمية المحضة التي تحضر إلى الذهن عند سماع اللفظ المفرد "السبع" لوجود تشابه بينهما يكمن في انتزاع الأرواح، فالشبه هنا عقلي.

في نفس السياق يضيف مثالين آخرين على القاعدة إذ يقول: "أو مثل أن تشبه الحال،إذا وجدتها دالة على أمر من الأمور، بالإنسان الذي يتكلم، فيعمل الوهم في الاختراع للحال ما قوام كلام المتكلم به"[4] إذ أن كثيرا من الأحوال ما تتحقق بصورة اللسان الناطق حيث يعمل الخيال في الاختراع للحال الذي يحقق التشابه بينه وبين ما نطق به المتكلم.

(1)-السكاكي: مفتاح العلوم: ص374.
(2)- المرجع نفسه، ص376.
(3)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(4)- المرجع نفسه، ص377.

والمثال الآخر الذي يقول في شرحه وتوضيحية له،أن تجد حكما من الأحكام صادفته واقعا كصورة الناقة المنقادة بزمام صاحبها فنطلق عليها اسم الزمام المتحقق قائلا: "زمام الحكم الشبيه بالناقة في إتباع المستتبع في يد فلان"[1]

فالسكاكي يعطي القاعدة ويستدل عليها بمثال من صنعه ثم يقوم بشرح ذلك المثال وقد يذكر للقاعدة الواحدة مثالا أو أكثر، لكن ما نلاحظه على أمثلة السكاكي أنها تتطلب التمعن والدقة في التحليل من أجل الفهم الصحيح، ولعل هذا يعود إلى أسلوب السكاكي المتميز بالتجريد من المحسوسات وربط القواعد بالتصورات العقلية.

بالرغم من كون السكاكي يعتمد الأسلوب المجرد فهذا لا يعني أنه لم يعتمد الأسلوب الأدبي والفني، فقد استشهد هو الآخر بالشواهد الشعرية المختلفة مثل أبيات من شعر ابن الرومي عند حديثه عن الاستعارة المرشحة فيقول:[2]

أعلمُ الناسِ بالنجوم بنو نُو بَخْتَ علماً لم يأتِهم بالحسابِ

بل بأن شاهدوا السماء سُمُوّاً برُقيّ في المِكْرُماتِ الصِّعابِ

مبلغٌ لم يكن ليَبْلُغَهُ الطا لِبُ إلاَّ بِتلكُمُ الأسبابِ

لكنه لم يكتف بذكر هذه الأبيات فقط بل أضاف أبياتا أخرى، حتى يوضح كيف يعقب المستعار منه بصفات وتفريع ملائم في الكلام له.

ولا يفوتنا أن ننوه أن السكاكي استشهد في هذا المبحث أيضا بآيات من القرآن الكريم، فنجده يبسط ما جاء في الآية بعد ذكرها ومثال ذلك: ""واشتعل الرأس شيبا"[3]"[4] فالنار هي مستعار منه، والشيب هو مستعار له وكلاهما حسيان، ووجه الشبه بينهما أي الجامع: هو الانبساط وهذا ما نصت عليه القاعدة في استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي.

ونجد أن السكاكي سار على نفس المنوال في ذكر الأنواع الأخرى من الاستعارة، فهو يعطي الانواع كلها مجموعة ثم يفصل بذكر كل نوع مع مثال يوضحه من القرآن الكريم، كما نجده في النوع الثاني لا يذكر آية واحدة بل يذكر أربع آيات في نفس السياق.

(1)- السكاكي، مفتاح العلوم، ص 377 .

(2)- المرجع نفسه: 385، 386.

(3)- سورة مريم : الآية 04.

(4)-السكاكي، مفتاح العلوم: 388.

وعليه نستطيع أن نقول أن السكاكي أيضا يقوم بالانتقال من المجمل إلى المفصل، وهذا أيضا ما وجدناه عند الجرجاني في دراسته للاستعارة،إلا أنهما لم يتبعا طريقة واحدة في ترتيبهما للأمثلة فتارة يمثلان بالآيات القرآنية، وتارة بالأبيات الشعرية والنثرية، ونجد أن الجرجاني كان يوظف أكثر من مثال واحد سعيا منه لتحقيق الغرض منها وهو وضوح القاعدة والفكرة، بينما نجد السكاكي ربما يأتي بمثال واحد للقاعدة من صنعه، وفي بعض الأحيان يكون معقدا وذلك لأسلوب السكاكي الذي يطغى عليه التجريد والتصور العقلي، فلابد للقارئ أن يستعمل التأول لفهم الأمثلة ، وهذا لا ينفي ذكره لعدة أمثلة شعرية أو قرآنية في مواضع أخرى.

كما يجدر بنا الإشارة إلى أنه رغم توظيف السكاكي لشواهد تحتاج إلى تمعن وتدقيق من القارئ، فإن للسكاكي الفضل في ترسيخ قواعد هذا الأصل بأسلوب علمي دقيق كمله بأمثلة ملاءمة له، بيد أن الجرجاني قد صور لنا هذا المبحث –الاستعارة– في علم البيان في أسلوب فني أدبي وذلك من خلال تذوقه لمختلف الأمثلة الشعرية خاصة.

3– المجاز

المجاز هو الآخر أخذ نصيبه من جانب التمثيل والاستشهاد بالأمثلة والشواهد المختلفة، وهذا نظرا لأهميته التي يتميز بها هذا الأصل من أصول علم البيان، ومن البديهي أن الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" نجده يعطي مساحة كبيرة للشواهد والأمثلة عند دراسته وحديثه عن المجاز.

ولا بد من التأكيد على أن الشواهد والأمثلة التي اعتمدها كانت متنوعة كاستعماله أسلوب المزاوجة بين الأشعار والأقوال النثرية، ويتجلى هذا عند حديثه عن دخول المجاز من جهة الإثبات دون المثبت، وهذه القاعدة ضرب لها مثالا من الشعر وهو:[1]

وشَيَّبَ أيَّامُ الفِراقِ مَفارِقِي وأنْشَزْنَ نَفْسي فَوْقَ حيْثُ تكُونُ

وقوله:

أشَابَ الصَّغيرَ وأفْنَى الكَبِيرَ كَرُّ الغَدَاةِ ومَرُّ العَشِي

وشرح هذين البيتين معتمدا على القاعدة، فالمجاز فيهما يقع في إثبات الشيب للأيام والليالي؛ وهنا نجده أزال الموضع الذي يجب أن يكون فيه لأن الشيب في الحقيقة يكون بقدرة الله، ففي البيتين أرجع الشيب للأيام وكر الليالي، وهذا لم يثبت له فعل بوجه، لا الشيب ولا غير الشيب، والمثبت بقي على حاله ولم يحدث فيه مجاز، فالمثبت في اللغة هنا هو الشيب.

(1)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص261، 262.

فهذا المثال الذي ضربه لنا الجرجاني من خير ما توضح به هذه القاعدة، فالمتصفح للمثال يستطيع ترسيخ القاعدة في ذهنه. ولم يكتف بهذا الشاهد، إنما دعم ذلك بمثالين من صنعه لتأكيد ما جاء في القاعدة وهما: "وسرني الخبر، وسرني لقائك"[1] فهنا المثبت هو السرور والمجاز لم يقع فيه بل وقع في الإثبات وذلك بإسناد السرور للخبر واللقاء.

واعتمد نفس الطريقة في مواضع أخرى منها عند تعريفه المجاز بأنه: "إطلاق"المجاز" على اللفظ المنقول عن أصله شرطا، وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل"[2] وفي شرحه لهذا التعريف يمثل باليد التي تقع للنعمة، إذ من شأن النعمة ان تصدر عن اليد تبعا لكون الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم وما يقتضيه ظاهر البنية وموضوع الجبلّة، وكذلك الحكم إذا أريد باليد القوة والقدرة، لأن القدرة كثيرا ما يظهر أثرها في اليد من خلال أفعال البطش والمنع والضرب والقطع.[3]

وفي نفس الضرب أعطى مثالا آخر للتوضيح بأن المجاز لا يجوز استعماله دون وجود ملاحظة أو اشتراك بين اللفظ المنقول عن موضعه الأصلي، والمعنى الحقيقي للفظ وهو البيت الشعري الآتي:

أكَلْتُ النهارَ بنِصفِ النهارِ ولَيلاً أكَلتُ بلَيلٍ بهيم[4]

يبين الجرجاني من خلال هذا البيت أن الشاعر أطلق النهار على فرخ الحبارى وذلك ليس لأمر بينه وبين ضوء الشمس، وكذلك الليل وضعه لولد الكروان.

ونجد الجرجاني يستشهد في مواضع بأبيات شعرية فقط، وفي أخرى يزاوج بين الحديث والشواهد القرآنية، ونلمس هذا الازدواج في الاستشهاد عند ذكره لحد المجاز بقوله: "أن كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول، فهي مجاز."[5] ويضرب لهذا مثالا من النثر هو: "فعل الرَّبِيعُ، وكما جاء الخبر " إن مما ينبت الربيع ما يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ"[6] وهنا أثبت الإنبات للربيع وهذا من الناحية العقلية لا يجوز وإنما أسند إليه فعل الإنبات مجازا لأنه لا يمكن إثبات فعل لغير قادر عليه، إلا على سبيل التأول.

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص262.
(2)- المرجع نفسه، ص278.
(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص278.
(4)- ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(5)- المرجع نفسه، ص272.
(6)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

يشير الجرجاني إلى أن هذا الضرب من المجاز كثير الورود في القرآن وقد مثل لذلك بخمسة آيات في هذا السياق إذ يقول: "وهذا الضرب من المجاز كثير في القرآن، فمنه قوله تعالى: "تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا" [ابراهيم:25] وقوله عز اسمه: "وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا "[الأنفال 2]"[1]

وقد اكتفينا بذكر آيتين فقط من جملة ما تناوله بالشرح والتوضيح.

أما قوله فيما دخل المجاز في مثبته دون إثباته فقد مثل له بذكر آيات قرآنية فقط نذكر منها: قوله عز وجل: "أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاس"[2] فالمجاز في هذه الآية وقع في المثبت، وكذلك في قوله تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا."[3]

وفي هذه الآية أيضا يقع المجاز في المثبت وهو الحياة، أما الإثبات فلم يقع فيه مجاز أي أنه وقع على حقيقته.

واستخلاصا لما سبق يمكننا القول أن الجرجاني قد استوفى مبحث البيان بالأمثلة والشواهد المختلفة، لكن الذي لفت انتباهنا أنه غلب الاستشهاد بالآيات القرآنية في الكثير من المواضع، وهذا راجع إلى لغة القرآن وبلاغته، فكثير من العلماء سبقوه إلى ذلك، فنجد معمر بن المثنى ألف كتابا وأطلق عليه اسم "مجاز القرآن" لأن القرآن ثري بالأساليب البلاغية وخاصة المجاز.

وعبد القاهر في دراسته للمجاز سار على نفس الخطى في تضمينه لمباحث علم البيان من استعارة وتشبيه في "الأسرار" بالشواهد، حيث كان يضع القاعدة والتقسيم والتفصيل فيه وبحرص شديد منه على توضيحها بالأمثلة والشواهد التي تخدم القاعدة، فكان يذكر في القاعدة أو الحكم الواحد أمثلة كثيرة، حتى أنه كان يزاوج في بعض الاحيان بين مختلف الأمثلة والشواهد من القرآن والحديث والشعر والنثر، إلا أنه في بعض الأحيان لا يكرر ذكر اسم الشاعر أو صاحب الحديث.

ورأينا أن احتجاجات الجرجاني واستشهاداته المختلفة قد حققت الغرض منها من إيصال للفكرة وفهم للقاعدة، وتلك كانت هي غاية الجرجاني منذ البداية وهدفه من التدعيم بها، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على ثقافة الجرجاني وغزارة علمه وبراعته الأدبية وقدرته على التحليل التي تجعل القارئ يتذوق ويغرف من بحر علمه الواسع.

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 272.

(2)- سورة الأنعام، الآية 122.

(3)-سورة الشورى، الآية 52.

ولا يفوتنا أن ننوه إلى تناول السكاكي لمبحث المجاز في كتابه "مفتاح العلوم" فقد سار على نفس النهج في الاحتجاج والاستشهاد، كما فعل في مبحثي الاستعارة والتشبيه نهيك عن كل ما ذكرناه عن أسلوبه في توظيفه للأمثلة والشواهد المختلفة.

نلاحظ أن السكاكي كرر ذكر المثال الذي جاء به الجرجاني، كما رأينا سابقا عند حديثه عن مفهوم المجاز،أما السكاكي فذكره عند حديثه عن القسم الرابع إلى المعنى المفيد الخالي من المبالغة في التشبيه، فهذا المجاز كما يرى كل من السكاكي والجرجاني يحصل بوجود قرينة او ملاحظة دالة على المعنى الأصلي، فيمثل السكاكي له بالمثال الذي أورده الجرجاني قبله وهو "أن تراد النعمة باليد، وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها، من حيث أنها تصدر عن اليد"[1] ويشرح هذا المثال بطريقة مختلفة عن شرح الجرجاني، فكل منهما يتميز بأسلوبه الخاص.

ويضيف السكاكي على هذا أمثلة نثرية وشواهد قرآنية كثيرة منها "أن يراد النبت بالغيث."[2] فالغيث أي المطر هو السبب في خروج النبات، أي العلاقة المجازية هي السببية.

ومن الضروري الإشارة إلى أنه أكثر وأسهب في هذا القسم من الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تأتي في نفس سياق المثال السابق نذكر منها "وهذا معنى قوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ"[3] ومما نحن في قوله"وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا "[4]"[5] فالمطر في كلتا الآيتين هو سبب الرزق.

ويستمر السكاكي في توضيحه للمجاز بأمثلة قرآنية مختلفة فيما يقارب الصفحتين، موضحا بذلك المجاز في كل آية شارحا العلاقة المجازية الموجودة فيها، ونكتفي نحن بذكر مثالين مما جاء به في هذا الموضع وهما في قوله تعالى: " "إنهم لَا يَرْجِعُونَ"[6] أي عن معاصيهم للخذلان، ومنه: "مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ"[7] أي أردنا إهلاكها"[8] ففي الأمثلة التي أوردها والتي أراد من خلالها إبراز القرينة التي تساعد على خروج الكلمة عن مفهومها الأصلي إلى المعنى المجازي وذلك يكمن في علاقات المجاز، كعلاقة السببية التي ذكرناها سابقا.

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص365.
(2)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3)- سورة الزمر، الآية 21.
(4)- سورة غافر، الآية 13.
(5)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص366.
(6)- سورة الأنبياء، الآية 95.
(7)- سورة الأنبياء، الآية 06.
(8)- السكاكي، مفتاح العلوم، 367

ومما لا شك فيه أن السكاكي لم يكتف بمثال واحد لنفس القاعدة، بل تعدى ذلك إلى ذكر أمثلة كثيرة ومتنوعة، ليشرح ما جاء به، وقد غلب عليها الأمثلة القرآنية وهو نفس الحال في الكثير من المواضع، فقد استشهد بآيات قرآنية مختلفة أيضا عند حديثه عن المجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام فدل عليه بآية من القرآن هي: "وَجَاءَ رَبُّكَ"[1] وآية أخرى من قوله تعالى: "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ"[2] فالأصل في الآية الأولى: وجاء أمر ربك فقد حدث حذف وهذا أدى إلى تغير الحركة الإعرابية، والآية الثانية الأصل فيها واسأل أهل القريةِ، فبحذف لفظة أهل تغيرت الحركة الإعرابية من الجر إلى النصب، والنصب مجاز.

وهذا ما ذهب إليه أيضا الجرجاني عند حديثه عن مجاز الحذف حيث أنه استشهد هو الآخر بقوله تعالى "وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ"، فكلاهما ذكر نفس المثال في حكمين مختلفين، فالسكاكي قاله في المجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام، أما الجرجاني فقد أورده قبله في حديثه عن مجاز الحذف وهو نفسه المجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام لكن كل منهما أعطاه تسميه مختلفة، أي أنهما مثلا بنفس الآية في نفس الموضع أو القاعدة.

وعلاوة على كل ما ورد في كتاب السكاكي "المفتاح" من الشواهد المختلفة، فإنه لا يجب أن نغفل عن الشواهد الشعرية التي وظفها أثناء دراسته للمجاز.

ومن بينها ما ذكره عند حديثه عن المجاز العقلي الذي يعرفه بأنه"الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه، لضرب من التأول، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع"[3] ويستشهد على ذلك بما جاء به أبو النجم، يقول في هذا الصدد: "أن ما تراه كيف استدلوا لقول أبي النجم:

قَد أَصبَحَت أُمُّ الخَيارِ تَدَّعي

عَليَّ ذَنباً كُلُّهُ لَم أَصنَعِ

مِن أَن رَأَت رَأسي كَرَأسِ الأَصلَعِ

مَيَّزَ عَنهُ قُنزُعاً عَن قُنزُعِ

جَذب اللَيالي اِبطِئي أَو اِسرِعِ"[4]

(1)-سورة الفجر،الآية 22.

(2)- سورة يوسف، الآية 82.

(3)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص393.

(4)- المرجع نفسه، ص393، 394.

من خلال الأبيات يتضح أن المجاز منصب في البيت الأخير، فالفعل هنا الخاص بالليالي خفي غير ظاهر، ووجه التأول فيه هو أن الله تعالى هو من يأمر الليالي بالتسارع والبطء، فالكلام هنا مبني على التخيل، أما في قوله بعد ذلك:

افناه قيل الله للشمس اطلعي

حتى إذا واراك افق فارجعي[1]

فالشاعر هنا صرح بالحقيقة والتي تكمن في أن الله تعالى هو المفني والمبدئ والمعيد، ويتمركز ذلك في"قيل الله" أي أمر الله.

فالبيت الثاني المبني على الحقيقة يفسر البيت الأول المبني على التأول والتخيل.

وبناء على ما قلناه سابقا نجد ان السكاكي يفصل ويبين كل القواعد والأقسام التي يدرجها في مبحث المجاز، مع اعتماده على الأمثلة والشواهد المختلفة وهو في هذا يوافق الجرجاني في طريقة عرضه للقواعد والأمثلة الدالة عليها، كما أنه اعتمد في هذا المبحث على الشواهد القرآنية بغزارة، كما فعل أيضا الجرجاني، ونرجع هذا لكون القرآن الكريم مليء بهذا الأسلوب البلاغي الفني، كما قلنا سابقا. لكن يتبين لنا أن السكاكي في بعض المواضع قد اعتمد نفس الأمثلة التي سبق إليها الجرجاني قبله، وهذا دليل على تأثره به واخذه عنه.

4– الكناية

الكناية من الأساليب البلاغية التي يكثر استعمالها في الكلام لأنها تقوم على إخفاء المعاني المقصودة والتصريح بمعنى آخر يلزم المعنى الخفي، وقد أشرنا إليه سابقا وهذا ما جعل علماء البيان يشتغلون عليها ويبينون أقسامها ومواضع الجمال والحسن فيها، وذلك بحسن التمثيل والاستشهاد بمختلف الشواهد التي تعطي الدارس لهذا الأصل في علم البيان رؤية واضحة تمكنه من استيعاب ما جاء فيه.

بالاستناد إلى ما سبق وما تطرقنا له، فإن الجرجاني تناول مبحث الكناية في كتابه "دلائل الاعجاز" والذي خصصه لعلم المعاني.

وتماشيا مع ما تم ذكره في المباحث السابقة تجدر بنا الإشارة إلى كيفية تناوله للكناية في كتابه "دلائل الإعجاز" بصورة وجيزة لأن محور اهتمامنا يدور حول كيفية تناوله لمباحث علم البيان في كتابه "الأسرار".

(1)– السكاكي: مفتاح العلوم، ص394.

ولا بد من التأكيد على أنه قد مثل للكناية بشواهد نثرية يوضح بها مدى جمال وروعة الكناية في الكلام، ومن هذه الأمثلة قوله: "هو طويل النجاد، وهو جمّ الرماد"[1]ويقصد بطويل النجاد طويل القامة، ويقصد بجم الرماد كناية عن صفة الجود والكرم.

كما يستشهد في مواضع أخرى بأبيات شعرية عند حديثه عن الكناية في إثبات الصفة فيقول بيتا يستشهد به ويبين به هذا الضرب من الكناية فيقول:

ومَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِني جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُوْلُ الفَصِيلِ[2]

فالجرجاني إذن في الدلائل يزاوج بين الأمثلة المختلفة من الشعر والنثر في دراسته للكناية وأقسامها.

سار السكاكي على خطاه السابقة في تناوله لقضية التمثيل في مبحث الكناية، حيث يقوم بالمزاوجة بين مختلف الأمثلة من الشواهد الشعرية والقرآنية أيضا.

فكلما ذكر تعريفا أو قسما إلا وقام بتوضيحه بمثال من شاهد شعري أو قرآني أو كلام منثور.

فضلا على ذلك فإنه يضرب عدة أمثلة من وضعه لتوضيح المراد بالوصف فيقول: "كالجود في الجواد، والكرم في الكريم،والشجاعة في الشجاع، وما جرى مجراها."[3]

كما أنه يذكر تعريف الكناية ويعطي أمثلة لها توضح ما جاء في تعريفه، ومن الأمثلة التي ذكرها"فلان طويل النجاد"[4] وهذا المثال متداول بين علماء البيان لوضوح الكناية فيه، حيث نجد الجرجاني أيضا قد ذكر هذا المثال عند تعريفه للكناية فيقول: "هو طويل النجاد" أي المراد به طويل القامة.

ونجد أن السكاكي يشرحه بنفس الطريقة، والمقصود بطويل النجاد طويل القامة، فينتقل المعنى المذكور إلى ملزومه اي المعنى الخفي، ويضيف السكاكي مثالا نثريا آخر وهو: "فلانة نؤوم الضحى"[5] فالمعنى الخفي هنا أن هذه المرأة لا تخدم نفسها بل هناك من يسعى عنها في القيام بالمهمات والأعمال التي تسعى إليها النساء في وقت الضحى، وبهذا لقد اتضح ملزوم المعنى. وهذا المثال سبق وأن تعرض له الجرجاني في كتابه "الدلائل" في نفس السياق الذي أورده فيه السكاكي أي في تعريفهما للكناية، إذا يمكن القول إن السكاكي وظف بعض أمثلة الجرجاني في دراسته لأمثلة الكناية.

(1)- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص70.
(2)- المرجع نفسه، ص307
(3)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص403.
(4)- المرجع نفسه، ص402.
(5)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

ومن الشواهد الشعرية التي اعتمد عليها السكاكي في بيان أقسام الكناية قوله شعرا لزياد الأعجم في حديثه عن الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة للموصوف، ويصف هذا الشعر باللطف فيقول: "منها قول زياد الاعجم وهو لطيف:

إنَّ السَّماحَةَ وَالمروءَةَ وَالنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ."[1]

وفي هذا البيت لم يرد الشاعر أن يوضح النسبة الموجودة بين الصفة والموصوف، فلم يصرح بتخصيص السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج. فتخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح يكون إما بالإضافةأو الإسناد لذلك تجنبهما الشاعر.

وهناك أمثلة شعرية أخرى تفنن السكاكي في الاستشهاد بها في مواضع مناسبة مع ما تقتضيه القاعدة والحكم الذي يضعه، فأحيانا يذكر العديد من الأمثلة والأبيات الشعرية لنفس القاعدة أو القسم ويقوم بشرحها.

نلمس هذا الجانب عند حديثه عن أنواع الكناية عندما قال: "كان إطلاق اسم الايماء والإشارة عليها مناسبا، وكقول البحتري:

أَوَما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثمَّ لم يتحول

فإنه في إفادة: أن آل أماجد، ظاهر، وكقول الآخر:

إذا الله لم يسق إلا الكرامَ فسقى وجوه بني حنبلِ

وسقى ديارهم باكرًا من الغيث في الزمن الممحلِ[2]

واستمر في ذكر الأبيات الشعرية في نفس السياق، حيث يقف على شرح كل شاهد بما يتوافق مع مضمون القاعدة.

من خلال اطلاعنا على ما جاء به السكاكي في مبحث الكناية من شواهد وأمثلة، اتضح لدينا أن الشاهد القرآني لم يكن ذا حضور كبير بين شواهده من المنثور والمنظوم. إذ نجده يستشهد بآيتين فقط في موضعين. الأولى من سورة البقرة وهي قوله تعالى:"حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ"[3] وأتى بهذه الآية عند حديثه عن الكناية المطلوب الثاني بها نفس الصفة.

أما الآية الثانية فهي أيضا من سورة البقرة وجاء بها للإفادة عن الكناية المسوقة لأجل موصوف غير مذكور وهي قوله تعالى:"هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ"[4] يقوم السكاكي بشرح هذه الآية انطلاقا من القاعدة التي

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص407.

(2)- المرجع نفسه، ص411، 412.

(3)- سورة البقرة، الآية 187.

(4)- سورة البقرة، الآية 187.

وضعها فيقول:"إذا فسر الغيب: بالغيبة بمعنى: يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أو جماعة من المسلمين، على معنى: هدى للذين يؤمنون عن إخلاص لا للذين يؤمنون عن نفاق."[1]

فالموصوف في هذه الآية غير مذكور ولم يصرح به وهو النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أو جماعة من المسلمين، فالكناية هنا جاءت عن المؤمنين المخلصين لا عن المنافقين.

المبحث الثاني: في الاصطلاح

المصطلحات هي الركائز التي يقوم عليها أي درس لغوي أو علم من العلوم، فكل علم يضبط بمصطلحات خاصه به. وقبل الغوص في المصطلحات التي يدور حولها بحثنا، تجدر بنا الإشارة إلى معرفة ماهية المصطلح.

جاء في معجم الوسيط في مادة صلح: "(صَلَحَ) – صَلَاحًا، وصُلُوحًا: زَالَ عَنهُ الْفساد. وَالشَّيْء: كَانَ نَافِعًا أَو مناسبا، يُقَال: هَذَا الشَّيْء يصلح لَك ... (صَالحه) مصالحةً، وصلاحًا: سَالمهُ وصافاه. وَيُقَال: صَالحه على الشَّيْء: سلك مَعَه مَسْلَك المسالمة فِي الِاتِّفَاق."[2] ويضيف أيضا:

" .... (الِاصْطِلَاح): مصدر اصْطلحَ واتفاق طَائِفَة على شَيْء مَخْصُوص. وَلكُل علم اصطلاحاته."[3].

ونجد التهانوي أيضا يعرفه في الكشاف بقوله: "الصلح اسم من المصالحة خلاف المخاصمة مأخوذة من الصلاح وهو الاستقامة صلح الشيء إذا زال عنه الفساد[4].

إذن؛ فمفهوم المصطلح من الناحية اللغوية يكون من الصلاح والمصالحة ونقيض الفساد، ويكون أيضا بمعنى الاتفاق على شيء ما، ويتبين أن المصطلح والاصطلاح لهما نفس المعنى.

يعرف المصطلح في معجم التعريفات للجرجاني بأنه: "عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، إخراج اللَّفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح: إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين."[5]

إذن؛ فالمصطلح هو ما يعرف أيضا بالاصطلاح وهو يعني أن تتفق طائفة من الناس على تسمية الشيء، فهم يتواضعون على ذلك المعنى بما يناسبه من لفظ، حتى يؤدي ذلك اللفظ المعنى المراد به بأحسن صورة.

---

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص411.

(2)– مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2005، مادة (صلح)، ص520.

(3)– المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(4) – التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، ص1903، 1904.

(5)– الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص27.

كانت الحاجة إلى وضع المصطلحات للأشياء موجودة منذ القدم، حيث كان العرب يدركون حاجتهم إلى المصطلحات التي تبين مقاصد كلامهم، وخاصة من ناحية العلوم، فكل علم يتميز بمصطلحاته ومسمياته الخاصة، ومن هذه العلوم علم البلاغة الذي تميز عن باقي العلوم، وهذا هو محور بحثنا الذي سنتناول فيه المصطلحات البلاغية التي تناولها كل من السكاكي في "مفتاح العلوم" والجرجاني في "أسرار البلاغة"، وقبل الخوض في تلك المصطلحات لابد لنا بداية من الوقوف على مصطلح علم البيان عند كل منهما.

ضمن الجرجاني كتابه الأسرار مباحث علم البيان، لكن لم يعط تعريفا أو قولا واضحا يشير فيه إلىماهية هذا العلم، فقد كانت بوادر هذا العلم بادية عند الجرجاني وذلك من خلال حديثه في مقدمته عن الألفاظ ومحاسنها،إذ يقول: "فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده."[1]ففي قوله هذا يشير الجرجاني أن الالفاظ لا تأت دائما على حقيقتها، وهذا ما يؤول إليه البيان، كما نجد لفظ البيان يتناثر بين صفحات كتابه لكنه لا يعطي له تعريفا أو يعده علما مستقلا بذاته.

ومن زاوية أخرى نجد أن السكاكي قد عرف البيان بدقة حيث جعله علما مستقلا وقائما بذاته وذلك من خلال إعطائه تعريفا دقيقا بقوله: "هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه."[2]

إن السكاكي بتعريفه هذا يجعل علم البيان هو القيام بإيراد المعنى الواحد بعدة طرق حتى تزيد دلالته وضوحا.

إذن فعلم البيان قد توضحت معالمه النهائية عند السكاكي الذي ضبطه بتعريفه، ودراسة مباحثه في القسم الثالث من كتابه وهي التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية، أما الجرجاني فقد درس مباحث علم البيان في الأسرار مع تناوله لبعض مباحث البديع كالتجنيس. إذا فقد بدأت بوادر هذا العلم في الوضوح مع الجرجاني واكتملت صياغته ومصطلحاته مع السكاكي.

1- التشبيه

إن التشبيه من أهم المصطلحات البلاغية التي درسها وتطرق لها علماء البيان في مصنفاتهم العديدة وهذا ما يتجلى عند الجرجاني في"أسرار البلاغة" وعند السكاكي في "مفتاح العلوم"، فقد حرص كل منهما على دراسة

(1)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص15.

(2)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص162.

وتبيين كل المفاهيم المتعلقة بهذا المبحث بمختلف المصطلحات، وفي بحثنا هذا سنتعرض لبعض المصطلحات التي كثر استعمالها وتداولها في كتابيهما، ومن جملة ذلك ما يلي:

من خلال ما تم تناوله فإن مصطلح"التشبيه" عند السكاكي والجرجاني يتمحور حول مشاركة أمرين في صفة أو أكثر، فالجرجاني وضع عدة مفاهيم تشير إلى هذا المصطلح على خلاف السكاكي الذي بين التشبيه من خلال عناصره وذلك من خلال النظر في "طرفا التشبيه ووجه التشبيه والغرض في التشبيه وأحوال التشبيه."[1]

فعبد القاهر لم يأت بمصطلح"طرفا التشبيه" بل كان يذكرهما مباشرة وهم المشبه والمشبه به وذلك في قوله" لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن الا لاتفاق كان ثابتا بين المشبه والمشبه به من الجهة التي بها شبهت"[2]

وفي بعض المواضع يشير إلى المشبه والمشبه به بمصطلحي" الفرع" و "الأصل" وذلك في حديثه عن التشبيه المعكوس فيقول: "وذلك جعل الفرع أصلا والأصل فرعا ..... فترى الشيء مشبها مرة، ومشبها به أخرى"[3] فالجرجاني يصطلح على المشبه والمشبه به بالفرع والأصل.

وفي نفس السياق نجد السكاكي يتحدث عن "التشبيه المعكوس" لكن بصورة مخالفة، فإذا كان الجرجاني قد أشار إليه باستعماله مصطلحي" الأصل" و " الفرع" فإن السكاكي وضع له اصطلاحا آخر يشير به إلى هذا النوع من التشبيه وهو "تساوي طرفي التشبيه" وعليه فهو يقول: "وأما إذا تساوى الطرفان: المشبه والمشبه به في جهة التشبيه، فالأحسن ترك التشبيه إلى التشابه، ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به."[4].

واستنادا على ما تقدم نجد أن كلا من الجرجاني والسكاكي قد وضع نفس القاعدة لهذا النوع من التشبيه لكن باصطلاحات مختلفة، فالجرجاني استعمل مصطلحي "الأصل" و "الفرع" للإشارة إلى المشبه والمشبه به" أما السكاكي فقد عبر عن ذلك بعبارة تساوي طرفي التشبيه، إلا أن المتعارف عليه في الدرس البلاغي أن هذا النوع من التشبيه يسمى بالتشبيه المقلوب أو المعكوس وهو ما ذكرناه سابقا.

ومن بين المصطلحات أيضا ما جاء في تعريفهما لـ "التشبيه المركب" "والتشبيه جملة"، فالجرجاني اعتمد مصطلح "التشبيه جملة" يقول فيه: "فالاشتراك في الصفة إذا كان من جهة الجملة على الإطلاق...."[5] أما السكاكي فيسميه"التشبيه المركب"، كما يعبر عنه أيضا بأن "يكون وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص332.
(2)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص116.
(3)- المرجع نفسه، ص151.
(4)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص346.
(5)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص121.

واحد"[1]، فهما يتفقان في المفهوم ويختلفان في الاصطلاح، واستنادا على هذا يقول السكاكي: "وتسمى أمثال ما ذكر من الأبيات تشبيه مركب بالمركب، والمذكور قبلها تشبيه المفرد بالمفرد."[2]

ومن هذا القول نجد مصطلح آخر أطلقه السكاكي على التشبيه وهو"التشبيه المفرد" الذي يسميه الجرجاني في الأسرار"التشبيه المفصل" أو التفصيل" وذلك من خلال قوله: ومعلوم ان هذا التفصيل لا يقع في الوهم في أول وهلة..."[3]

استعمل الجرجاني أيضا مصطلح "التشبيه الصريح" وهو يقصد به التشبيه الذي تذكر فيه الأداة لقوله:"التشبيه الصريح بذكر الكاف ونحوها"[4] وهذا المصطلح لم نجده عند السكاكي في المفتاح بل أعطى تعبيرا آخر يفيد نفس معنى هذا المصطلح وهو:"الغرض العائد إلى المشبه به فمرجعه إلى إيهام كونه أتم من المشبه في وجه التشبيه"[5]وهذا ما جاء في تعريف الجرجاني للتشبيه الصريح عند قوله بأن الغرض من استعماله كونه أبلغ تعبيرا عن العلاقة الموجودة بين المشبه والمشبه به.

لا نغفل أن نشير أن مصطلح التشبيه الصريح وما جاء به السكاكي في تعبيره هو ما نتداوله الآن ونعرفه بالتشبيه المرسل، وقد سبقت إشارتنا إلى مفهومه الذي يتوافق مع ما تم ذكره هنا في هذا الموضع.[6]

إنه لمن الضروري التطرق إلى مصطلح التأول أو التأويل للذين استعملهما الجرجاني بنفس المعنى، فالتشبيه عنده يحتاج إلتأويل عقلي من أجل معرفة المعنى المراد به، إذ يقول:"ثم إن ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتا شديدا."[7]

وفي هذا إشارةأيضا إلى تفاوت التأويل، فالتشبيه قد يكون بينا واضحا لا يحتاج إلى تأويل أو ترجيح لدلالته، وقد يحتاج إلى تمعن وتأمل عقلي من أجل الوصول إلى المقصود به وفي هذا كله تفاوت، وهذا عند الجرجاني، بينما لم نلمس استعمال هذا المصطلح عند السكاكي في المفتاح.

2- الاستعارة

رأينا سابقا أن الاستعارة من أبلغ الأساليب البلاغيةوالبيانية كما أنها تدخل دائرة المجاز وتعتمد التشبيه، لذلك نجد علماء البيان قد ميزوها بمصطلحات خاصه بها حتى لا يحدث تداخل بينها وبين مباحث البيان

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص336.
(2)- المرجع نفسه، ص338،337.
(3)-الجرجاني: أسرار البلاغة، ص123.
(4)- المرجع نفسه، ص179.
(5)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص343.
(6)- ينظر: هذا العمل، ص 27.
(7)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص71.

الأخرى، من بينها ما جاء به السكاكي عند وضعه لمصطلح "المتروك" و"المذكور" دلالة على المشبه والمشبه به، وحتى لا يلتبس الأمر بين الاستعارة والتشبيه الذي يسمى طرفاه مشبها ومشبها به اصطلح لهما السكاكي بلفظي"المستعار منه" و"المستعار له" ونجد هذه المصطلحات في قول السكاكي: "ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور أو المتروك مستعارا منه، واسمه مستعارا، والمشبه به مستعارا له."[1]

وبهذا نجد السكاكي قد بين أن طرفي الاستعارة هما"المستعار منه" و"المستعار له"، كما يسمي كل منهما "المتروك"أو "المذكور"، وذلك حتى لا يقع خلط بين الاستعارة والتشبيه باعتبار المشبه والمشبه به هما طرفا التشبيه.

والجرجاني أيضا في الأسرار لم يستعمل لفظي المشبه والمشبه به عند حديثه في فصل الاستعارة، بل استعمل مصطلحي المستعار والمستعار له إذ يقول: "... القصد الآن إلى المستعار الذي توجد حقيقة معناه من حيث الجنس في المستعار له"[2]

وفي هذا دليل على إبداع ومدى قدرة علماء البيان على وضع المصطلحات التي تناسب كل موضع، فلو استعملوا مصطلحي المشبه والمشبه به لاختلط الأمر ولم يستطع القارئ أن يميز بين الاستعارة والتشبيه.

ومن المصطلحات التي تبناها الجرجاني "الاستعارة المفيدة" التي يقصد بها الاستعارة التي تحصل منها الفائدة وتؤدي الغرض، وقد سبق وأشرنا إلى بيانها عند تناولنا مفهوم الاستعارة.

يقسم الجرجاني هذه الاستعارة ويصطلح على قسميها باسم

- الاستعارة في الاسم (الاسمية).
- الاستعارة في الفعل (الفعلية).

وتتجلى هذه المصطلحات التي أدرجها الجرجاني في مبحث الاستعارة عند قوله: "كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة، فإنها لا تخلو من أن تكون اسما أو فعلا."[3]

أما السكاكي الذي جاء من بعد الجرجاني فيسمي هذين القسمين بالاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية، فمصطلح الاستعارة في الاسم عند الجرجاني يقابله مصطلح الاستعارة الأصلية عند السكاكي، ومصطلح الاستعارة في الفعل عند الجرجاني يقابله عند السكاكي مصطلح الاستعارة التبعية.

(1)-السكاكي: مفتاح العلوم، ص370.

(2)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص48.

(3)- المرجع نفسه، ص40.

فالسكاكي يعرف الاستعارة الأصلية بأن:"يكون المستعار اسم جنس ... ووجه كونها أصلية هو ما عرفت أن الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه"[1] وتعريف السكاكي هذا يتوافق مع ما جاء به الجرجاني عند حديثه عن الاستعارة في الاسم.

أما الاستعارة التبعية فيعرفها السكاكي بأنها:"ما تقع في غير أسماء الأجناس:كالأفعال، والصفات المشتقة منها، وكالحروف."[2]

إذن فالسكاكي اصطلح على هذين القسمين بمصطلحين لم يستعملهما الجرجاني لكنه أبقى على نفس المعنى لأن الجرجاني أعطى هذا التقسيم باعتبار الاسمية والفعلية ولم يعطهما مصطلح مباشر يعبر عنهما على خلاف السكاكي، ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد أن الجرجاني يقول:"إنها إما تجري في الأسماء وإما أن تجري في الأفعال، وسمى البلاغيون بعده هذين القسمين على الترتيب باسم الاستعارة الأصلية والتبعية"[3]

بناء على ما سلف يتضح لنا أن الجرجاني قد وضع المفهوم ولم يعبر عنه بمصطلحات على خلاف من جاء بعده من أمثال السكاكي اللذين اعتمدوا نفس المفهوم أو التعبير الاصطلاحي له وابتكروا مصطلحات تشير إليه.

في نفس السياق يقسم الجرجاني الاستعارة في الاسم إلى قسمين، الأولى يعبر عنها بأنها "ما تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت فتجريه عليه، وتجعله متناولا له"[4] والسكاكي يسمي هذا القسم بالاستعارة المصرح بها التي يقول فيها:"أن يكون الطرف المذكور من طرف التشبيه هو المشبه به"[5] فالجرجاني والسكاكي يعبران عن نفس المعنى والقاعدة لكن بطريقة مختلفة من حيث الاصطلاح.

أما القسم الثاني الذي اعتمده الجرجاني في دراسته هو أخذ الاسم على حقيقته والرمز له إذ يقول: "وهذا المراد بالاسم والذي استعير له، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائبا منابه"[6]، أما السكاكي فسمى هذا القسم بالاستعارة المكنى عنها أو الاستعارة بالكناية وعليه فهو يقول: "هي كما عرفت أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها"[7] فالسكاكي والجرجاني أرادا نفس المعنى لكن بمصطلحات مختلفة، كما نجد اختلاف آخر، فالجرجاني استعمل مصطلح"خليفة" أما السكاكي فقال"قرينة" وهما يقصدان نفس المعنى بهما، وهو ترك خاصية من خواص المشبه به تدل عليه على سبيل الإعارة.

(1)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص380.
(2)-المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
(3)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص194.
(4)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص40.
(5)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص373.
(6)- الجرجاني: أسرار البلاغة، 41.
(7)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص379.

يقول شوقي ضيف أن الجرجاني:"يقسم التي تجري في الاسماء قسمين، فهي إما محققة وإما مرموزا إليها أو كما قال البلاغيون بعده إما تصريحية وإما مكنية."[1]

بناء على ما تقدم يتضح لنا أن السكاكي أعطى المصطلحين اللذين استقرت عليهما تسمية هذين القسمين بعد الجرجاني الذي لم يعط المصطلحين كما فعل من جاء بعده، بل اكتفى بإعطاء القاعدة والتعبير الاصطلاحي عليه.

3- المجاز

لا مناص من القول أن المجاز شأنه شأن التشبيه والاستعارة، وذلك لأن أي دراسة بيانية لن تخلو من العناية به، لأنه يعد أحد أهم مباحث البيان، ولكل مبحث مصطلحات خاصة به، وهذا يدفعنا إلى محاولة معرفة أهم المصطلحات التي ذكرها كل من الجرجاني والسكاكي في "الأسرار" و"المفتاح" عند تعرضهما للمجاز، ومن بين هذه المصطلحات: ما جاء في تعريف الجرجاني للمجاز الذي يقول فيه "كل كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها"[2] فالجرجاني في تعريفه هذا يستعمل مصطلح الملاحظة الذي يعني بها، أن الكلمة تعتبر مجازا عند وقوعها في الموضع الذي يريده الواضع فيبني المعنى استنادا إلى غير ذلك الذي يراد به في ذلك الموضع.

بينما نجد السكاكي في تعريفه للمجاز يوظف مصطلح مغاير وهو القرينة، حيث عرف المجاز بقوله: "هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع."[3]

وهنا نجد أن الجرجاني والسكاكي قد استعملا مصطلحين مختلفين، كل منهما استعمل المصطلح الذي يعبر به عن المعنى المراد بوضعه أثناء تعريفه للمجاز.

وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح الأكثر شيوعا وتداولا في الدرس البلاغي الحالي هو مصطلح القرينة.

ومن المصطلحات التي ضمنها السكاكي في تعريفه للمجاز مصطلح التحقيق الذي قصد به على حسب قوله: "احتراز ألا تخرج الاستعارة، التي هي من باب المجاز."[4]

(1)- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص194.

(2)- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص249.

(3)- السكاكي: مفتاح العلوم، ص953.

(4)- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

فالسكاكي يذكر هذا المصطلح ليؤكد على أن الاستعارة من قبيل المجاز، وهذا نفسه ما ذهب إليه الجرجاني لكنه لم يستعمل هذا المصطلح –التحقيق– بل يعبر عن ذلك بتعبير آخر وذلك بقوله: "كل اسم جرى على الشيء للاستعارة، فالاستناد فيه قائم ضرورة."[1]

وبهذا نجد الجرجاني قد عبر عن عدم إخراج الاستعارة من دائرة المجاز بقوله ذلك، أما السكاكي فقد عبر عن هذا بمصطلح "التحقيق".

ومن تعبير الجرجاني ذلك نجد مصطلح "استناد" الذي يبدو من قوله أنه يعني به المجاز وذلك كتشبيه الرجل بالأسد ففي هذا إسناد صفة الأسد للرجل، ولكن السكاكي لم يستعمل مصطلحا كهذا للدلالة على المجاز.

ومن أهم المصطلحات التي تبناها الجرجاني في مبحث المجاز مصطلح "الإثبات" و"النفي"إذ يقول في هذا الصدد:"أحتيج إلى شيئين يتعلق الإثبات والنفي بهما، فيكون أحدهما مثبتا والآخر مثبتا له وكذلك يكون أحدهما منفياوالآخر منفيا عنه، فكان ذانك الشيئان، المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل"[2] فهو يقصد بالإثبات العلاقة الإسنادية بين المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل، فيكون كل واحد منهما "مثبتا" و"مثبتا له"، أو "منفيا" و"منفيا عنه"، ويطلق الجرجاني على "المثبت" و"المنفي" مصطلحي "المسند" و"الحديث"، وأما "المثبت له" و"المنفي عنه" فيصطلح عليهما"بمسند إليه" و"محدث عنه"، وهذه المصطلحات من ابتداع عبد القاهر، فهو يعطي مصطلحات متعددة لنفس المفهوم، بينما لم نجد هذه المصطلحات عند السكاكي أثناء دراسته للمجاز.

فعبد القاهر جعل "الإثبات" بمعنى "الإسناد" الذي يقوم بين "مسند" و"مسند إليه"، وبدا فالمجاز عنده يكون إسنادا وإثباتا.

ونلاحظ أن السكاكي جاء بمصطلح "مثبت" لكنه في سياق مخالف لما جاء به الجرجاني فهو يستعمله عند حديثه عن الحقيقة، يقول: "إذا أثبته، فمعناها المثبت؛والكلمة متى استعملت فيما كانت موضوعة له، دالة عليه بنفسها، كانت مثبتة في موضعها الأصلي"[3] فهما متفقان في المصطلح ومختلفان في المعنى المراد.

وفي هذا الإطار يوضح الجرجاني ماهية"الإثبات" و"المثبت"، وفي ذلك يقول: "إن قال قائل في أصل الكلام الذي وضعته على أن المجاز يقع تارة في الإثبات، وتارة في المثبت، وأنه إذا وقع في الإثبات فهو طالع عليك من جهة العقل، وباد لك من أفق هو إذا عرض في المثبت فهو آتيك من ناحية اللغة"[4]، فالجرجاني بهذا القول يطلق مصطلح "الإثبات" على "المجاز العقلي"، ومصطلح "المثبت" على "المجاز اللغوي."

(1)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص249.
(2)– المرجع نفسه، ص259.
(3)– السكاكي: مفتاح العلوم، ص360.
(4)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص264.

أما السكاكي فقد تحدث عن مصطلحي "المجاز اللغوي" و"المجاز العقلي" عند السلف ولم يتطرق إلى ذكر مصطلحي"الإثبات" و "المثبت "اللذين وظفهم الجرجاني ومن هذا المنطلق يقول السكاكي: "اعلم أن المجاز عند السلف من علماء هذا الفن قسما: لغوي، وهو ما تقدم ويسمى مجازا في المفرد؛ وعقلي،وسيأتيك تعريفه ويسمى مجازا في الجملة."[1]

فالسكاكي –إذن– اكتفى بمصطلحي "المجاز اللغوي" و "المجاز العقلي" اللذين ذكرهم السلف، ويوضح أن المجاز العقلي يكون في الجملة واللغوي يكون في المفرد وهذا ما ذهب إليه الجرجاني الذي يعبر عن هذا بـ "وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة ...كان حكما أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة."[2]

فالجرجاني أيضا يشير إلى أن المجاز في اللغة يكون مفردا، ويقول في المجاز عن طريق الجملة: "ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام، كان مجازا من طريق المعقول دون اللغة"[3] فهو يقصد بهذا أن المجاز في الجملة هو مجاز عقلي لا لغوي.

ومما تقدم يمكننا القول أن الجرجاني أعطى للمفهوم الواحد عدة مصطلحات، فأطلق على المجاز اللغوي عدة مصطلحات هي:"مجاز من جهة المثبت" و "مجاز من المفرد"،أما "المجاز العقلي" فيسميه "مجازا من جهة الإثبات" و"مجازا فيالجملة" و"مجازا في الإسناد".

ومن الضروري الإشارة إلى أن المجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام الذي ذكره السكاكي ويعرفه عند السلف بأنه "أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصلي، إلى غيره."[4]

فهو يعني بهذا المجاز أنه يحدث بتغير الحكم، وهذا نفسه ما ذهب إليه الجرجاني عند حديثه عن "مجاز الحذف والزيادة" لكن كما نلاحظ كل منهما عبر عن ذلك بتعبير مغاير، فالجرجاني اصطلح عليه بـ "الحذف والزيادة" وهو يقصد به أن: "توصف به لنقلها عن حكم كان لها، إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها"[5] فقول هذا الأخير هو نفسه ما ذكره السكاكي عند تعريفه "للمجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام" لكن اختلف كل منهما في وضع المصطلح لهذا المعنى.

(1)– السكاكي: مفتاح العلوم، ص262.
(2)–الجرجاني: أسرار البلاغة، ص286.
(3)– المرجع نفسه، ص286.
(4)– السكاكي: مفتاح العلوم، ص392.
(5)– الجرجاني: أسرار البلاغة، ص291.

4– الكناية

الكناية من مباحث علم البيان التي أدرجها الدارسون ضمن دراستهم له، إلا أن الجرجاني لم يدرسها في الأسرار بل في الدلائل، ولأن محور دراستنا يدور حول الأسرار والمفتاح فإنه التزاما منا لا يمكننا التفصيل فيما جاء به الجرجاني في الدلائل، لكن نكتفي بالإشارة إليها في إطار وجيز باعتبارها أحد موضوعات علم البيان الأساسية التي لا يمكن غض الطرف عنها.

أشار الجرجاني في الدلائل إلى مصطلح "الكناية الواقعة في نفس الصفة" وهي حسبه تأتي على صور مختلفة إذ يقول: "من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن تجيء على صور مختلفة."[1] ويقصد بهذا المصطلح أو التعبير الاصطلاحي "الكناية عن الصفة أو الكناية عن الموصوف"، أما السكاكي في المفتاح فيطلق على هذين القسمين اصطلاحين مختلفين هما "الكناية المطلوب بها نفس الموصوف" وهي ما يعرف الآن بـ "الكناية عن الموصوف"أما المصطلح الآخر الذي وضعه السكاكي للتعبير عن الكناية عن الصفة فهو "الكناية المطلوب الثاني بها نفس الصفة"، والتي يعرفها بقوله: "هي أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه."[2]

أما قسم الكناية المعروفة لدينا باسم الكناية عن النسبة فلم يعبر عنها كل من السكاكي في المفتاح ولا الجرجاني في الدلائل بهذا المصطلح، فالجرجاني عبر عنها بمصطلح "إثبات الصفة" وقد جاء تعريف هذا القسم سابقا، فهو يقصد به التناسب بين الصفة والموصوف، إذ تذكر نسبة أخرى بينهما توحي بالنسبة الحقيقية غير المذكورة.[3]

أما المصطلح الذي أشار به السكاكي إلى نفس هذا القسم من الكناية فيطلق عليها "الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف"، حيث يشير إلى التناسب والنسبة بين الصفة والموصوف بمصطلح"التخصيص"، وهو يعني وجود نسبة وتخصيص بينهما، وذلك بالتكنية عن هذا التخصيص بآخر.[4]

نخلص مما ذكرنا سابقا إلى أن كل من الجرجاني والسكاكي قد وضع مصطلحات مختلفة لنفس المفهوم والقسم، وهذه المصطلحات هي ما نتعارف عليها الآن في الدرس البلاغي بالكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة، ومن هنا نستطيع القول أن هذه المصطلحات قد تطورت بمرور الزمن، بدءا بالجرجاني وحتى السكاكي، واستقرت على ما أسلفنا في وقتنا الحالي، فقد استقر مفهومها وإن تغير اصطلاحها.

(1)- الجرجاني دلائل الإعجاز، ص306.

(2)- السكاكي، مفتاح العلوم، ص404.

(3)- ينظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص311.

(4)- ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص407.

الخـاتمـة

الخاتمة

في ختام هذا البحث تم رصد جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- أن علم البلاغة خاصة منه علم البيان احتل مكانة هامة بين علوم اللغة العربية لكونه يدرس النص اللغوي من حيث بلاغته وجماله الفني.
- مباحث البيان هي: التشبيه، الاستعارة، المجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية.
- أهم العلماء الذين درسوا وحللوا هذه الأصول هما: الجرجاني والسكاكي.
- يعد كتابا "أسرار البلاغة" و"مفتاح العلوم" نموذجين رائعين ومرجعين قيمين للقيام بأي دراسة في علم البيان لتناولهما الصور البيانية مثبتة بالتعاريف والتقسيمات والشواهد والمصطلحات.
- من أهم الفروقات بين الجرجاني والسكاكي أن الجرجاني قد أدرج الكناية في كتابه "دلائل الإعجاز" في حين تناول بقية مباحث البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، وهو ما يشير إلى عدم تبلور مباحث البيان في صورتها النهائية كما هو الحال في عهد السكاكي.
- كان أسلوب الجرجاني يميل إلى النزعة الأدبيةوالفنية أما أسلوب السكاكي فامتاز بالعلمية وتقعيد المجرد.
- حدد عبد القاهر الجرجاني بعض المفاهيم دون أن يضع تسمية لها كالاستعارة المكنية والتصريحية اللتين كانتا من اصطلاح السكاكي والمحدثين وهذا ما استقر عليه الدرس البلاغي.
- كان الجرجاني أسبق من السكاكي، فقد بدأت بوادر هذا العلم معه وانتهت معالمه مع السكاكي، والمصطلحات التي أوردها السكاكي هي التي انتهى إليها الدرس البلاغي المعاصر.
- هناك أدلة على تأثر السكاكي بالجرجاني وخاصة في جانب التمثيل وذلك لتعدد الأمثلة المشتركة بينهما في نفس المواضع.

وبحمد الباري ونعمت منه وفضل ورحمة نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلة عبر ملف الانجاز بين تفكر وتعقل في موضوعنا.

وقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الافكار فما هذا إلا جهد ولا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أننا بدلنا فيه قصارى جهدنا فإن أصبنا فداك مرادنا وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم.

ولا نزيد على ما قال العماد الاصفهاني:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذلك ان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ..."

وأخيرا نتمنى أن يكون البحث قد نال إعجابكم وترك أثرا في إثراء الفكر الإنساني، والله نسأل أن يفيد البشرية جميعا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولا: المعاجم

1- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399، 1979م.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، ط4، 2005م، ج2، ج4.

3- أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ - 14998م، ج1

4- إنعام فوال عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبيان والمعاني، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 1417هـ - 1996م.

5- الجوهري: الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1408هـ - 1987م.

6- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، الإمارات- دبي، د.ط.

7- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2005.

8- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي:القاموس المحيط: تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005م.

ثانيا: الكتب

1- أبو بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

2- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، د ط.

3- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1420هـ - 2000م، ج1.

4- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط2، 1393هـ 1973م.

5- أبو منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: الكناية والتعريض، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.

6- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصري، صيدا – بيروت، د . ط.

7- أحمد خليل: البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1969.

8- أحمد مطلوب: البحث البلاغي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، د ط، 1982.

9- أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1393هـ – 1983م.

10- بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1377هـ – 1958م.

11- بسيوني عبد الفتاح فيود: دراسات بلاغية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ – 14998م.

12- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ – 2003م.

13- سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، دار الفكر، د ط.

14- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9.

15- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة مضر للطبع والنشر، القاهرة، د. ط، ج1.

16- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، دار الشاملة، بيروت، ط1، 1416هـ – 1996م، ج2.

17- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1405هـ – 1985م.

18- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط.

19- عبد القاهر عبد الرحمان الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م،

20- عبد الواحد حسن الشيخ: دراسات في البلاغة عند ضياع الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزي، الإسكندرية، د ط، 1986.

21- علي عبد الرزاق: أمالي في علم البيان وتاريخه، د طبعة مقداد، د.ط.

22- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1424هـ-2004م.

23- مازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، د ط.

24- محي الدين ديب ومحمد أحمد قاسم: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003،

25- مصطفى الصاوي الجويني: البلغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1985م.

26- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني-علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1427هـ-2007م.

ثالثا: المجلات

1- عطية أحمد أبو الهيجاء: التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني بوصفه معيارا نقديا، مجلة عالم الفكر، ع11، مج 42، سبتمبر 2013.

2- يحي عبد الرؤوف جبر: مجلة النجاح للأبحاث، الشاهد اللغوي، مج2، ع6، 1992.

رابعا: الموسوعات

1- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
المدخل	**5**
الفصل الأول: علم البيان – الأقسام والحدود	**14**
المبحث الأول: في الأقسام	**15**
1- التشبيه	**15**
2- الاستعارة	**18**
3- المجاز	**21**
4- الكناية	**24**
المبحث الثاني: في الحدود	**27**
1- التشبيه.....	**27**
2- الاستعارة.....	**34**
3- المجاز.....	**39**
4- الكناية.....	**43**
الفصل الثاني: علم البيان – التمثيل والاصطلاح	**47**
المبحث الأول: في التمثيل.....	**48**
1- التشبيه.....	**49**
2- الاستعارة.....	**56**
3- المجاز.....	**62**
4- الكناية.....	**67**
المبحث الثاني: في الاصطلاح	**70**
1- التشبيه.....	**71**
2- الاستعارة.....	**73**
3- المجاز.....	**76**

4- الكناية..... 79

الخاتمة..... 81

قائمة المصادر المراجع..... 84

فهرس المحتويات 88

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع علم البيان، وذلك من منظور الموازنة بين علمين من أعلام البلاغة العربية هما عبد القاهر الجرجاني في "أسرار ةالبلاغة" والسكاكي في "مفتاح العلوم".

وقد وزع البحث إلى فصلين، كل منهما بمبحثين حيث تناولنا في الإجمال مسائل الحدود، الأقسام، والتمثيل والإصطلاح. وذلك بالإشارة إلى منهج تناول كل منهما لهذه الوسائل مع التركيز على نقاط الإلتقاء والإفتراق، وقد خلصنا إلى جملة نتائج ضبطناها في الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، البيان، الجرجاجي، السكاكي، الموازنة.